أجنـــاد الحشـــم في الأندلـــس من الأمويين إلى الموحدين

(١٣٨-٦٠٩هـ/ ٧٥٦-١٢١٢م)

دكتور/ صلاح أحمد عيد خليفة
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد كلية الآداب - جامعة المنيا

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:- إن بداية الاهتمام بهذا الموضوع وفكرته كانت استغرابي لذكر الحشم في أحداث المعارك وساحات القتال وعند الخطوب والشدائد في المجتمع الأندلسي ووجـــه الغرابـــة عندي تركز في سؤال هام لماذا يذكر الحشم أولئك الخدم بالقصور في أحـــداث الحروب؟ هل هذا وضع طبيعي أم ماذا في الأمر؟ ومن هنا بدأت رحلتي الماتعة من الكلمة وفئة الحشم في الأندلس وبدأت أتطلع معانيها لاستجلاء الحقيقة وأتابع ذكرها في مصادرنا لمعرفة من هم؟ فوجدت ما اقنعنى أولاً بأن ورود الكلمة في هذه الأحداث الحربية لم يكن فيه ما يثير الدهشة والغرابة، وكل ما فـــي الأمـــر جهالة فيّ يجب أن تزول وعدم معرفة بحقيقة يجب أن ترصد. وما دفعني إلـــى ذلك دفعاً أنني قمت باستبيان غير مكتوب وشافهت الكثيرين حولي من الأســـاتذة والزملاء وحتى طلبة الدراسات العليا بسؤال مباشر من هـــم الحـــشم؟ فكانـــت الإجابات كلها في واقع الأمر لا تتعدى ما كان معلوماً لدى أي أنهم هم الخدم في القصور ولم يشر أحد إلى شيء غير ذلك، عندئذ وقر في نفسي أن الموضـــوع جاد ويحتاج إلى توضيح وبيان من أجل الوصول إلى المعنى الحقيقـــي للكلمـــة ودور أولئك الحشم في الحروب، فبدأت القراءة المتأنية لجمع المادة العلمية التي تعيينني على إيضاح المعنى اللغوي أولاً لكونه مفتاح الموضوع فـــي رأيـــي،

فاستبان لي الأمر بفضل الله، ووجدت أن الحشم على ضـــربين الأول مـــنهم لا يتعدى دورهم القصور وهم القاطنون مع الحاكم والمساكنون له والآخرين هـــم الذين عاشوا بجوار الحكام ولاذوا به وسكنوا بجوار القصور ليكونوا طوع بنانه في أي وقت من الأوقات وهؤلاء هم أجناد الحشم الذين كان لهم دوراً بارزاً مع الجيوش الأندلسية المحاربة في الداخل والخارج وهؤلاء هم مدار بحثنـــا الـــذين سنتعرف على حقيقة دورهم، راصدين إياه بعد معرفة معاني كلمة الحشم لغويـــاً ودراسة أصول هؤلاء الحشم العرقية وكيفية صيرورتهم حشماً للحكام والاجتهاد في تحديد أعدادهم ثم كيف هيأهم الحكام حربياً ونظموهم عسكرياً وأعدوهم مـــن أجل دورهم العسكري الذي أنيط بهم؟ ذلك الدور الذي قاموا به على أكمل وجـــه وجسيما جدده لهم أسيادهم وهو ما درسناه تحت عنوان "دور الحشم العـــسكري" ووضحت فيه دورهم في الحراسات الخاصة والعامة ثم دورهم فـــي الحـــروب والمنازعات الداخلية وأخيراً اسهاماتهم المؤثرة في الجهاد ضد نصارى الشمال، وختمت كل ذلك بالنتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

"وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

الباحث

التمهيد

المعنى اللغوي لكلمة الحشم

الكلمة مفردة وجمع في آن واحد وجمع الجمع منها أحشام، وأصلها من الفعل حشم الذي له معان كثيرة[١] ومتعددة، ولكن مقصودنا[٢] منها ما ذكره الأصمعي وغيره من أن الحشمة هي الغضب[٣] لا بمعنى الاستحياء[٤] والاحتشام المقصود هو التغضب وحشمت فلاناً أي أغضبته ومنها جاء حُشمة الرجل وحَشمه وأحشامه أي خاصته وهم الذين يغضبون له من عبيد أو أهل أو جيرة إذا أصابه أمر.[٥] والحشم أيضا هم خدم الرجل وسموا بذلك لأنهم يغضبون له والحُشمة كذلك القرابة والجيرة والأضياف لذا يقال هؤلاء أحشامي أي القرابة والجيران والأضياف كذلك.[٦]

فكلمة الحشم إذاً تعنى أهل الرجل وعبيده وجيرانه وأضيافه، فضلا عن خدمه وكذلك من لف حوله من الخاصة سموا بذلك لأنهم يحتشمون له أي يغضبون إذا وقع أمر يمس كرامته أو حقوقه أو سلطانه إذا كان حاكماً، ومن هنا أيضا سمي الحشم الذَّمار ودخل معهم في هذا المسمى رجلهم الذي يحتشمون له وذلك لإنه يحمى من ورائه وما يلزمه حفظه وحمايته والدفع عنه من أموال

---

(١) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري المشهور بابن منظور: لسان العرب، ج١٢، دار صادر، بيروت، بدون، ص١٣٥.

(٢) المصدر السابق، ص١٣٥.

(٣) راجع هذه المعاني ابن منظور: المصدر السابق، ص١٣٥. محمد بن يعقوب الفيروزآبادى: القاموس المحيط، بدون، ص١٤١٤.

(٤) ابن منظور: المصدر السابق، ص١٣٥.

(٥) نفسه.

(٦) ابن منظور: المصدر السابق، الفيروزآبادى: المصدر السابق.

ونساء وما إليه وهم قد سموا ذمار لأنهم يتذمرون في موقع إثارة الحفيظة إذا استبيح حماه فيهبوا لحمايته، ومنها جاء القول "تذامر الناس في الحرب" أي تحاضوا على القتال والجد فيه.(٧)

وهناك معنى آخر غاية في الأهمية وهو أن الحشم هم المماليك وقيل هم الأتباع مماليك كانوا أو أحراراً(٨) وهم اللائذون بالرجل ذو المكانة والسلطان لخدمته وحمايته، فكلمة الحشم إذاً شملت المجموعتين من الأتباع وهم الأحرار والمماليك ولكن الفرق بينهما كما نقل ابن منظور(٩) عن صاحب التهذيب أن الأحرار لا يساكنون الرجل وأن المماليك هم الذين يساكنون الرجل ولذلك سمي أولئك الحشم القطّان وهم الإماء والعبيد والمماليك والخدمة والواحد منهم يسمى قطين؛ وهذا ماعناه القوم عندما خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن لنا عيالاً وحشماً" وذلك في حديث الاضاحى.(١٠)

---

(٧) ابن منظور: المصدر السابق، ج٤، ص٣١١.

(٨) المصدر السابق، ج١٢، ص١٣٥، الفيروز أبادي: المصدر السابق، ص١٥٨١.

(٩) المصدر السابق، ج١٣، ص٣٤٢.

(١٠) حيث قال صلى الله عليه وسلم: يا أهل المدينة لا تأكلوا لحوم الأضاحي فوق ثلاث"أو قيل ثلاث أيام، فشكوا إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم أن لهم عيالاً وحشماً وخدماً" فقال صلّى الله عليه وسلم: كلوا وأطعموا وأحبسوا وادخروا" راجع: الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء، التراث العربي، بيروت رقم ٣٣، بدون، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم المعروف الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٠م، رقم ٧٥٦٨، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي: سنن البيهقي الكبرى تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة، سنة ١٩٩٤م، رقم ١٨٩٩٩.

ونخلص من كل هذا أن الحشم من حيث الحالة الاجتماعية منهم الأحرارومنهم العبيد ومن حيث الإقامة منهم الذين يساكنون الرجل وهم الذين سموا بالقُطَّان وآخرون لاذوا به ولم يساكنوه أو سكنوا قريباً منه ومن حيث العمل والوظيفة وهذا هو المهم عندنا، أن الحشم حشمان: المجموعة الأولى: هم من المماليك والعبيد والإماء، القاطنون مع السيد في القصر والدار وهم المخصصون بخدمته والقيام على حاله وامرأته وأولاده، أما المجموعة الثانية فهم غير القاطنين في القصر أو المقيمون خارجه من المماليك الفحول والعبيد وكذلك من أحرار الناس الذين لاذوا بخدمة الملوك ودخلوا في اتباعه وحشمه فضلاً عن قرابة الرجل وجيرانه، وغالباً ما كان الخاصة من الملوك والأمراء يعهدون للأحرار ومن يعتق من العبيد والمماليك بالخطط والوظائف المختلفة ويشكل منهم جهازه الإداري لتسيير أمور دولته، في حين يستخدم العبيد والمماليك ومن بقى على حاله من الموالي راضياً بمكانته وحالته أو لم تظهر له نجابة وإمكانات خاصة نقول، استخدم هؤلاء في الجندية وأغراضها المختلفة وهؤلاء بالذات هم المقصودون بالبحث والدراسة هنا وذلك لتردد الإشارات بكثرة عنهم في مصادرنا بالأندلس تلك المصادر التي ميزت جيداً بين حشم الخدمة وحشم الجندية في فهم عميق من كتابها للمعنى اللغوي لكلمة الحشم مما جعلهم يستخدمون الكلمة للدلالة على الخدم داخل القصر والأجناد خارجه دون الحاجة إلى الإشارة إلي معانيها، ومن هنا كان لزاماً علينا أن نبين المعنى اللغوي حتى ننفذ من خلاله إلى التفرقة بين حشم الخدمة وحشم الجندية، وإذا كان الأول قد لعبوا دوراً اجتماعياً كبيراً وشاركوا كذلك ــ من الرجال خاصة ــ في الشئون السياسية للدول فإن المجموعة الثانية أنيط بها دوراً في غاية الأهمية وهو الحياض والذود عن الدول من خلال دورهم العسكري والحربي وهو ما لمسناه

من الإشارات الواردة عن هؤلاء الحشم بالأندلس في أوقات الحرب والنزال دون القصور والمتنزهات وفي مواقف الجد دون الهـزل واللهـو، ومـع الجيـوش وأقسامها وفي الحراسة وأصنافها. مما أكد لنا دورهم الفاعل كجند اعتمد علـيهم الحكام والأمراء في تدبير شئون دولتهم وتقوية جيوشهم ومحاربة أعدائهم وسـد ثغور دولهم ودفعنا أيضاً إلى إستقراء المصادر بدقة لمعرفة هذا الدور.

الأصول العرقية لأجناد الحشم

إن إقامة الملك والمحافظة عليه كان يحتاج إلى عصبية تقيمه وتعمـل جاهدة للمحافظة عليه، ومن هنا لجأت الأسر الحاكمة في الأنـدلس إلـى اتخـاذ الأعوان والأتباع من الأقارب وغيرهم وهم الحشم من أجل ذلك ولكن الأعـوان والأتباع من الأقارب الذين عبرعنهم ابن خلدون[١١] بالقبيل الـذين هـم ألـصق بالحاكم من غيرهم، ربما كان ضئيل العدد ضعيف الكفاية أوكانـت طموحـات بعض أفراده الخاصة سبباً في خلق العديد من المشاكل والصراعات على الملـك والسلطان لكونه "منصباً شريفاً ملذوذاً اشتمل على جميـع الخيـرات الدنيويـة والشهوات البدنية والملاذ النفسانية"[١٢] عندئذ كان الحاكم يلجأ مسرعاً إلى تلافى الخلاف باستعمال القوة وسلوك سبيل البطش من أجل إرهاب عصبيته الأقـربين وإجبارهم على الخضوع له والاستسلام لقياده وسلطانه ولذريته من بعده ولكـن ذلك لا يحدث إلا عن طريق أداة غاية في الأهمية لابد من إعدادها والاسـتعداد بها وهي القوة الحربية والآلة العسكرية التى هي اليد القوية للحاكم مـن أجـل

(١١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج٢، تحقيق دكتور علـى عبـد الواحد وافى، سلسلة التراث، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٦م، ص٥١٤.

(١٢) نفسه.

إقرارملكه وبسط سيادته، ليس فقط على عصبية المشاكسة ولكن على باقي العصبيات في أرض سلطانه، زد على ذلك رغبة الحاكم في أداء حق الرعية ورد الاعتداء الخارجي عنها، وكل ذلك لن يتأتي إلا بالقتال والذي بدوره لن يكون إلا عن طريق عصبية يعوض بها ضعف عصبيته أو مشاكستها سلطانه(١٣)، ومن هنا وجدنا مؤسسي الدول في المغرب والأندلس يكونون حولهم عصائب من العبيد والموالي غير الأهل والأقارب المعينين له شملتهم جميعاً كلمة الحشم أو الأحشام(١٤) فيسترقوا العبدان والموالي ويصطنعوا الرجال من كافة

(١٣) راجع هذه المعاني ابن خلدون: المصدر السابق، ص٤٩٥، ٤٩٨، ٥١٤.

(١٤) ونذكر من هؤلاء إبراهيم، ابن الأغلب مؤسس دولة الأغالبة الذي اهتم بهؤلاء الأجناد من الحشم متخذا إياهم درعاً لحماية دولته ويد طولى يقمع بها الثائرين عليه وعلى الجملة لضبط أمن دولته واستقرارها اتخذ مع الجند المرتبين الحشم من السودان وغيرهم وأظهر لجنده أنه أراد بذلك إكرامهم عن حمل السلاح راجع: الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق د/ محمد زينهم عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ط١، ص١٣٤. وكذلك فعل إدريس الثاني (١٧٧-٢١٣هـ/ ٧٩٣-٨٢٨م) باني مجد دولة الأدارسة إذ لم يستقم ملكه إلا باتخاذ الحشم من الجند الذين كانوا بأعداد وفيرة حتى ضاقت بهم مدينة وليلى لذا قرر الانتقال بهم إلى مدينة جديدة فبنى فاسا وسكنها هو ومن معه من حشمه من الجند. راجع في ذلك: أبو الحسن على الجزناءى: جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج٢، ص١٨. وانظرإلى عبد الرحمن بن رستم (١٦٢-١٦٨هـ / ٧٧٨-٧٨٤م) مؤسس دولة الرستميين لما أقام الدولة اعتمد على الإباضية فرسانهم وعلمائهم ومع ذلك لم يستغن عن الحشم الحربي والأجناد خاصة ويذكر في ذلك ابن الصغير أنه عندما كان يجتمع إليه الأموال من الجزية وخراج الأرضين وما أشبه ذلك كان يقطع لنفسه وجشمه وأصحاب شرطته القائمين بأموره ما يكفيهم في سنته وما فضل صرفه في شئون المسلمين راجع ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستميين،

الأعراق حسبما يتيسر لهم الحصول عليهم، من أجل إقامة الملك ثم المدافعة عنه وحمايته وتمهيده للذرية، ويذهب ابن خلدون[١٥] إلى أن الحكام بعد خطوة تمهيد الملك وإقامته ينتقلون إلى مراحل أخرى من الاهتمام بهؤلاء الحشم فيقول ما ملخصه، ما أن تتمهد الدولة وتستقر أمورها ويكثر الطمع فيها والخروج عليها لما طبع عليه البشر من الاستعصاء والذي لا يمكن قهره إلا بالقوة يستغرق الحكام في الاستظهار بأولئك الحشم من الموالي والعبيد والمصطنعين الداخلين في ولاية الدولة، وعندما يتم ذلك الاستقرار ويستحكم الملك وتتوسع الدولة في النعيم، عندئذ يستزداد الاعتماد على الحشم والاهتمام بأحوالهم وتوفير مؤنتهم والاستكثار من سلاحهم أخذاً بالاستعداد والأهبة "فيكثر عندهم إرتباط الخيول واستجادة الأسلحة وتعظم فيهم الأبهة الملكية ويفيض العطاء فيهم من ملوكهم اختياراً أو اضطراراً فيرهبون بذلك عدوهم". ولكن إذا كان ابن خلدون[١٦] يصور واقع بعض الدول وخاصة الكبرى كالدولة الأموية بالأندلس مثلاً فإن هناك دولاً مع قوة عصبيتها ومقدمتها على مدافعة الأعداء وحفظ الدولة وحمايتها إلا أنها لم تستغن عن الأجناد من الحشم هي الأخرى زيادة لقوة عصبيتها وأمعاناً في زيادة هيبة الدولة وذلك كالمرابطين والموحدين كما سنرى وهو ما يعنى لدينا أن الحشم كأجناد لهم دور أساسي في جيوش الأندلس لم تستغن عنه أى دولة من

تحقيق د/ حسن على حسن، القاهرة، سنة ١٩٨٢م، ص٢٤٩. وفي مكان آخر يفيدنا ابن الصغير (أخبار الأئمة، ص٢٦٩) أن الأجناد بطانة السلطان وأولاده وحشمه مما يعنى أن الحشم كونوا فرقة أساسية في جيش الرستميين بالمغرب الأوسط، كما يذكر (ص٢٩٨) عن ابن حاتم بن أبى اليقظان من أئمة الرستميين (٢٨١-٢٩٤هـ / ٨٩٤-٩٠٦م) أيضا أنه كان يجمع الفتيان إلى نفسه وكانت أمه غزاله مالكة أموره وكذلك متحكمة في حشمه.

(١٥) المصدر السابق، ص٥١٥ وما بعدها.

(١٦) المصدر السابق، ص٥١٦.

دولها، ومن هنا لجأ الحكام واهتموا بتكوين الأجناد من عناصر وأعراق مختلفة، وجب علينا أن نعرف القارئ الكريم بها لنؤكد إهتمام الحكام بتكوين الحشم كيف كان، ثم إنصهار هذه العناصر في بوتقة الولاء للحكام والإخلاص لهم بما أبرزه دورهم الحربي في الأندلس.

بداية يجب أن نقرر حقيقة هامة وهي أن كلمة الحشم في الغالب قد وردت في مصادرنا غير معنية بجنس أوعرق بعينة في المجتمع الأندلسي أي أنها جاءت مبهمة وبالذات مع المصطنعين منهم مثل ذلك الذي استنزله الناصر لدين الله ويدعى عبد الرحمن بن سعد بن مالك الثائرفي كورة باجة هو وأخوته فلما هزمه وطلب الأمان والدخول في الطاعة نزل من قصبة المدينة ونقلهم الناصر إلي قرطبة وصار جميعهم في عداد حشمه[١٧] أوأولئك الذين اصطنعهم الحكم المستنصر من ثغر طليطلة من الفرسان والشجعان وبعثهم إلى بلاد المغرب لإمداد الجيش هناك[١٨] فهؤلاء لا يتضح في أخبارهم جنسهم ولا عرقهم ولكن يعلم أنهم من الأحرار المصطنعين.

ولكن هناك إشارات متعددة أخرى دلت على أن هؤلاء الحشم ينتمون إلى أعراق مختلفة، كانت قريبة من الحكام والأمراء من جنسه وعرقه أو من مماليكه وعبيده وآخرين تحالف معهم الحاكم أو اصطنعهم لنفسه، وقد وردت هذه الإشارات أحيانا بصفة العمومية لتدلل على تلك الأعراق وتنوعها مثل "ضروب

(١٧) ابن حيان: المقتبس ت شالمتيا وآخرين، ص٣٢.

(١٨) ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، سنة ١٩٨٣م، ص٢١٢، ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٢، تحقيق أ. بروفنسال س. كولان، بيروت، سنة ١٩٨٣م، ص٢٠٣.

الحشم"[١٩] "أصناف الحشم"[٢٠] "صنوف الحشم"[٢١]....الخ ولكن هناك أخبار أخرى متعددة أيضاً خصت الحشم بالأندلس يمكننا على أساسها تحديد عناصر وأعراق الحشم الحربي وذلك على النحو التالي:-

١-البربر:-

كون البربر جزءً هاماً من أحشام الأندلس الذين التفوا حول الحكام، إذا استكثر منهم الأمويون عبيداً ومصطنعين وذلك في إطار سياسة وضعها جدهم الأول عبد الرحمن بن معاوية (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٦-٧٨٨م) وهي الاستعانة والاعتماد على الموالي والعبيد والمصطنعين بعد أن استراب بالعرب وقبائلهم[٢٢]، وكان من بين هؤلاء البربر وذلك لكثرتهم في أسواق النخاسة لقرب العهد بالفتح الإسلامي للمغرب، فضلاً عن الصراعات العربية البربرية في عصر الولاة بالمغرب والأندلس، ولهذا شكلوا جزءاً هاماً من عبيد الداخل وحشمه الحربي يقول المقري[٢٣] "فانحرف عنهم ــ أي العرب ــ إلى إتخاذ المماليك فوضع يده

(١٩) أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي: المقتبس، الجزء الخامس، اعتنى بنشره، شالميتا، ف. كورنيطي، م. صبح، الرباط، مدريد، سنة ١٩٧٩م، ص٢٤٨.

(٢٠) ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ت الحجى، ص١١٨.

(٢١) ابن حيان: المقتبس ت شالميتا، ص٤٣٤، ص٤٦٥، ص٤٦٨...الخ. ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٢، تحقيق أ. بروفنسال ــ ح س كولان، بيروت، سنة ١٩٨٣م، الطبعة الثالثة، ص٢١٠.

(٢٢) راجع ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر المسمى تاريخ ابن خلدون، م٤، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٢م، ط١، ص١٤٨، أحمد بن على المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج٣، تحقيق إحسان، بيروت، سنة ١٩٩٧م، ص٣٦.

(٢٣) المقري: المصدر السابق.

في الابتياع فابتاع موالي الناس بكل ناحية واعتضد أيضا بالبرابر ووجه عنهم إلي بر العدوة فأحسن لمن وفد عليه إحساناً رغب من خلفه للمتابعة "أي أن الداخل اتخذ منهم عبيداً ومصطنعين، وكان أشهرهم على الإطلاق بنى ميمون الذين استعان بهم الداخل في حربه ضد الدعي الفاطمي شقيا بن عبد الواحد المكناسي في شمال شرق الأندلس[٢٤]،وانظر إلي حرصه لتكثير رجال جيشه من البربر عندما قامت عليه ثورات اليمنية بغرب الأندلس وإشبيلية بالذات بقيادة حيوة بن ملامس الحضرمي وعبد الغافر اليماني ولما رأى ما هاله من كثرة أعداد من معهما من البربر أمر أحشامه البربر من بنى وانسوس وبنى الخليع وغيرهم بمخاطبة بني عمهم فخاطبوهم فانحرف البربرعن عسكر اليمنية فوقعت الهزيمة عليهم [٢٥] أو قيل من بنى ميمون الذين أمرهم بمداخلة بنى عمهم مع اليمنية فتم ذلك وحارب الداخل اليمنية فهزمهم شرهزيمة [٢٦] يقول صاحب أخبار مجموعة[٢٧] "ثم وضع الشراء في المماليك واللحق فثاب الناس إليه وسارعوا نحوه حتى صار في ديوانه جماعة منهم".[٢٨]

(٢٤) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر المعروف بابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١، تحقيق د/ عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، سنة ١٩٩٥م، ص٢٥٥.

(٢٥)ابن القوطية : المصدر السابق، ص٥٣.

(٢٦) راجع مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، القاهرة، سنة ١٩٨١م، ط١، ص٩٨.

(٢٧) نفسه.

(٢٨) المصدر السابق، ص٩٩، راجع كذلك ابن القوطية: المصدر السابق، ص٥٣.

والواقع أن هؤلاء البربر مع غيرهم من الحشم صاروا عدة الجيش الأموى بعد عبد الرحمن الداخل ولم يألُ خلفاؤه جهداً في الاستزادة من هؤلاء الأجناد من البربر، فرغم أن اسم الطنجيين وقع رسمياً من قبل عبد الرحمن الناصر على أولئك العبيد البربر الذين لجأ إلى شرائهم واستكثرمنهم بعد أن آنف أن يطلب تعزيزات لجيشه من الأمراء الأدارسه الذين صاروا من أتباعه ثم أوقع على هؤلاء العبيد اسم الطنجيين[٢٩]، إلا أننا نجد بربراً من حشم الجندية عند الأمويين قبل الخليفة عبد الرحمن قد وقع عليهم هذا الاسم وحاربوا في صفوف الأمير عبد الله (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، ضد الثوار بالأندلس وخصوصاً عمر بن حفصون[٣٠] وهو ما يعني استمرار الاستعانة بالحشم من البربر والاستزادة من أعدادهم وفي كل الأحوال فإن اللبنة التي وضعها الداخل في تكوين الحشم من البربر سارعليها خلفاؤه وأعلاها الناصر لدين الله الذي أكثر من شراء العبيد من البربر بكثرة وأوقع عليه اسم الطنجيين والذي صار علماً على هؤلاء الأحشام حتى آخر دولة الأمويين بالأندلس[٣١]. ومن الملاحظ أن هؤلاء الأجناد ظلوا على الجندية إلى لما أراده لهم عبد الرحمن الناصر إذ يذكر عنه أنه أقتصر بهم على أدنى الملاحق قاصراً لهم على أقل المراتب مصرفاً لهم في أشق الخدمة[٣٢]. أى أن قليل منهم فقط صار له وظيفة إدارية أو رتبة

(٢٩) ابن حيان: المقتبس، ت الحجى، ص١٩٠.

(٣٠) راجع: ابن حيان: كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس، عهد الأمير عبد الله تحقيق إسماعيل العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، المغرب، سنة ١٩٩٥م، ط١، ص١٤١، ١٤٤، ١٤٥، ١٦٣، ١٦٨.

(٣١) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص١٨٩-١٩٠.

(٣٢) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص١٩٠.

عسكرية والأغلبية ظلوا في الجندية، وقد سار على نهجه ابنه الحكم المستنصر في هذا السبيل فأكثر من البربر واستزاد[٣٣] وفي ذلك دلائل عديدة منها أنه لما وصل الحسن بن قنون الإدريسي ومن معه من أقاربه إلى الأندلس سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م مع القائد غالب الناصري واستقبلهم المستنصر استقبالاً رائعاً[٣٤]، كان معهم كتيبة من المحاربين البربر قرر الخليفة إلتعجيل بضمهم إلى جيشه بعد تأمين أرازقهم ومعسكراتهم[٣٥] كما ضم أيضاً إلى خدمته وحشمه بنى برزال[٣٦] من قبلهم وقد حرص المستنصر على أن يظلوا كتلة مستقلة مميزة في هيأتها ومميزاتها الحربية عن غيرهم من أحشامه الأخرين كراهية أن يتشبه بهم أحد من أحشامه في البداية[٣٧] ثم محبة في فروسيتهم ومركوبهم وإمكاناتهم في النهاية. ويلخص لنا ابن حيان[٣٨] ذلك بقوله "فتقبلهم معرضاً عن نحلتهم على بصيرة سمحة واكتملت بهم لديه آخر دولته القصيرة من هذه الفرق الثلاث البربرية الرجال – رجال بنى حسن ورجال ابنى الأندلس ورجال البرزالة، عسكر ضخم يقاربون السبعمائة فارس".

ولما استبد المنصور ابن أبى عامر بهشام المؤيد وأمسك بزمام الأمور استعان في تحكمه وإستبداده بكتائب من البربر صاروا في حشمه كانوا له عدة في القضاء على العرب أرستقراطين وأجناد على حد سواء وكذلك على صقالبة

(٣٣) المصدر السابق، ص١٨٩-١٩٠.

(٣٤) راجع مراسم هذا الاستقبال، المصدر السابق، ص١٩٤، وما بعدها.

(٣٥) المصدر السابق، ص١٩٢.

(٣٦) المصدر السابق، ص١٩٢.

(٣٧) ابن حيان: المصدر السابق، ص١٩٠.

(٣٨) المصدر السابق، ص١٩٢، ١٩٣.

بنى أمية وحشمهم، ولذا استكثر المنصور منهم واستقدمهم من المغرب واشترى كثيراً منهم ليكونوا له حشماً عسكرياً وأجناداً خاصة تدين له بالولاء والطاعة(٣٩). فاستعان بالرؤساء واشترى خدمتهم فجلبوا معهم أجنادهم(٤٠)، ويذكر المقرى(٤١) أنه "جند البرابرة والمماليك" ويصف ابن حيان(٤٢) حال أولئك البربر مع المنصور "فاستظهر بهم على شأنه حين استولى على الملك فعلاهم على طبقات أجناده واصطفاهم لنفسه فخاض بهم دياجير حياته". ولكن ابن أبى عامر أكثر من المصطنعين من البربر واشترى خدماتهم أكثر من شراء العبيد، وفي كل ذلك محاولاً الإصلاح في الجيش الأندلسي حتى يدين له بالولاء ولكنه بهذا قضى على الجيش النظامي في الأندلس الذي كان يعتمد على الأجناد من العرب المجندة ومن الحشم الذين كانوا يدينون بالولاء الخالص الممتد للحاكم وذريته لا إلى الشخص بعينه ومدة حياته وكذلك لما يقبضونه من رزق، وهو ما ترتب عليه في النهاية وبعد غياب المنصورعن الساحة بقليل فتن مبيرة أدت إلى سقوط الخلافة الأموية وإنهيار وحدة الأندلس "يقول بن حيان(٤٣)"واعتدوا بعده – أى البربر – على الخليفة في معنى الامتعاض فيهم لعدوانهم على ولده اعتداء أصارهم إلى ما هم الآن بصدده من إبطال الخلافة وتفريق الجماعة والتمهيد للفتنة والإشراف

---

(٣٩) الأمير عبد الله آخر ملوك بنى زيرى: مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بنى زيري بغرناطة ٤٦٩-٤٨٢هـ المسماة بكتاب التبيان،، نشر وتحقيق أ. ليفى بروفنسال، دار المعارف، مصر ، بدون، سلسلة زخائر العرب ١٨، ص١٦.

(٤٠) راجع

Miguil Cruz Hernandez: El Eslam de Al-Andalus, Historia y estructura de su Realidad Social, Madrid, 1992, p.322, 23.

(٤١) نفح الطيب، ج١، ص٣٩٩.

(٤٢) المقتبس، ت الحجى، ص١٩٣.

(٤٣) ابن حيان :المصدر السابق ص١٩٣.

بالجزيرة على الهلكه". ومع هذا استمر البربر يمثلون رغم مالهم من دور رئيس في الفتنة وعصر ملوك الطوائف جزءاً من حشم الحكام حتى من البربر أنفسهم فيذكر على سبيل المثال أنه أثناء النزاع بين يحيى بن على الحمودى[٤٤] والقاضي ابن عباد[٤٥]، أن الأخير أرسل إلى مدينة قرمونة[٤٦] ابنه إسماعيل بن

(٤٤) وهو ثالث الحموديين الخلفاء بقرطبة، جاء من سبتة وكان واليا عليها يرقب الفرصة للخروج على عمه القاسم والذي ظن أن عمه هذا اغتصب منه ميراث أبيه في حكم قرطبة وراسل بربر قرطبة في ذلك وأفلح في دخول قرطبة، بممالأتهم سنة ٤٣٢هـ وبويع بالخلافة وتلقب بالمعتلى بالله، ولكن سرعان ما خلعه البربر في العام التالي وأعادوا عمه ولكن ابن الأخ استطاع التغلب على عمه الذي طرد من قرطبة فتابع عمه وتغلب عليه وانفرد بسياسة ورياسة البربر في شريش ومالقة وسبتة وطنجة بعد أن بايعه البربر بالخلافة ودخل في صراع مع القاضى محمد بن عباد الذي استقل برياسة إشبيلية، انتهى بمقتل يحيى بن حمود سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م، عنه راجع: ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص١٢٤، ١٣١-١٣٢، ١٤٤-١٤٥، ١٨٨، لويس سيكو دى لوثينا: الحموديون سادة مالقة والجزيرة ترجمة عدنان محمد آل طعمه، دار سعد الدين، دمشق، سنة ١٩٩٢م، ط١، ص٢٥ وما بعدها.

(٤٥) هو أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد مؤسس دولة بنى عباد باشبيلية وكان قاضيها استعمله الحموديون عليها وجعلوه على قضائها، فانتهز الرجل الظروف وافترص الخلاف الواقع بين ابناء البيت الحمودى وصراعهم كذلك مع بنى برزال أصحاب قرمونة وضرب بعضهم ببعض وعمل لنفسه ثم خادع الأسر الكبيرة في إشبيلية واستمال إليه العامة، حتى حصل على ملك البلد وأورثها عقبه وحكم من سنة ٤١٤ إلى ٤٣٣هـ / ١٠٢٣-١٠٤٢م راجع: ابن عذاري: المصدر السابق ص١٩٤ وما بعدها.

(٤٦) قرمونة (Carmona): مدينة رومانية قديمة تقع في الشمال الشرقي من مدينة إشبيلية على ٣٢ كيلو متر منها وكانت عاصمة لإقليم ضم مدنا وحصوناً كثيرة راجع للمزيد: ياقوت الحموى: ومعجم البلدان، ج٤، دار الفكر، بيروت، بدون، ص٣٣، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، مؤسسة ناصر

عباد مع جيش من صنائعه وطائفة من البربر المستخدمين لديه وذلك من أجل احتلالها.(٤٧)

وفي عهد المرابطين الذين وحدوا المغرب والأندلس ورغم قوة عصبيتهم وقدرتهم الفائقة في الحرب والقتال وإمكاناتهم الكبيرة في حفظ الدولة. والجهاد في سبيل الله إلا أنهم حرصوا على فرق الحشم من جيوشهم، فينكر عن يوسف بن تاشفين (٤٨٠-٥٠٠هـ/ ١٠٧٨-١١٠٦م) أنه أحب زيادة قواته وتجديد عساكره وتقوية جيشه فبعث في الصحراء للمتونة ومسوفة وجدالة وغيرهم مؤكدا عليهم في القدوم عليه، فلما قدموا عليه صرف إليهم الأعمال وصرف أعيانهم في مهمات الأشغال ومكن حشمه من قومه من الدولة فاكتسبوا الأموال وملكوا رقاب الرجال وساعدهم الوقت والزمان وكثرت جموعهم وتوفرت عساكرهم فعظم ملكه بهم(٤٨). ويورد صاحب الحلل(٤٩) في هذا الإطار، أي سبيل تدعيم يوسف لملكه وتقوية جيشه بأهله وأرومته البربرية من الملثمين الذين صاروا جزءا هاماً من أعيان دولته ورجال عسكره من الحشم نقول أورد نصاً في غاية الأهمية في سبيل توضيح استعمال البربر الآخرين في حشمه فيقول

للثقافة، بيروت، سنة ١٩٨٠م، ط٢، ص٤٦١، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس المجلد الثامن، الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، مكتبة الأسرة، القاهرة، سنة ٢٠٠١م، ص٧١.

(٤٧) لسان الدين بن الخطيب السلماني :تاريخ أسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ،تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت ١٩٥٦ص١٣٧.

(٤٨) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: علوش، رباط الفتح سنة ١٩٣٦م، ص٢١.

(٤٩) المصدر السابق، ص٢١-٢٢.

"وعظم ملك يوسف بن تاشفين وضم من جزولة ولمطة وقبائل زناته ومصمودة جموعاً كثيرة وسماهم الحشم وضم طائفة أخرى من أعلاجه وأهل دخلته وحاشيته فصاروا جموعاً كثيرة سماهم الدخليين فاجتمع له من الطائفتين ثلاثة آلاف فارس" أى أن يوسف بن تاشفين أضاف إلى حشمه من أرومته آخرين من البربر مثل جزولة ولمطة وزناته[٥٠] وقد استمرت ذريته في ذلك بعد وفاته محافظة على نظام الأحشام ونذكر في هذا الصدد عن تاشفين بن على لما كان واليا لغرناطة وقرطبة بالأندلس لأبيه على بن يوسف (٥٠٠-٥٣٧هـ/ ١١٠٦-١١٣٢م) أنه استشار الحشم من زناتة وغيرهم قبل دخوله معركة جبل القصر سنة ٥٣٠/١١٣٥م.[٥١]

ويورد لنا ابن خلدون[٥٢] معلومات غاية في الأهمية دلت على أن هناك قبائل بربرية بأكملها دخلت في طائفة الحشم مثل قبائل بنى توجين من زناته الذين سكنوا وادي شلف وجبل وانشريس وغيرها من أرض المغرب الأوسط وقد ظهرت صفة الحشمية هذه منذ فترة مبكرة حيث يذكر ابن خلدون[٥٣] علاقتهم بصنهاجة من بنى زيري وغيرهم واستمرت عليهم وظهرت جلية واضحة أثناء تاريخهم الطويل مع الموحدين وبنى زيان وبنى حفص، ولكنها ظهرت بأجلي صورها في عهد بنى مرين حكام المغرب الأقصى الذين استكثروا من الأجناد

(3) Hernandez: op. cit p.323

(٥١) ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (تاريخ إفريقية والمغرب من الفتح إلى القرن الرابع الهجري، ج٣، تحقيق ج. س. كولان، أ. ليفى بروفنسال، بيروت، سنة ١٩٨٣، ط١، ص٩٤، الحلل الموشية، ص١٠١، ١٠٢.

(٥٢) المصدر السابق، ج٧، ص١٨٢ وما بعدها.

(٥٣) العبر، ج٧، ص١٨٣-١٨٤.

الحشمية وأنفقوا عليهم بسخاء كبير وأكرموهم غاية الاكرام في سبيل المحافظة على الملك المريني(٥٤) ونذكر في ذلك أن السلطان المريني أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق أدخل عليه سنة ٦٨٤هـ ١٢٨٥م في عيد الفطر الكائن بها العرب وأشياخ بنى مرين وكذلك الحشم فمد لهم الولائم فقام أحد الشعراء وأنشد قصيدة عدد فيها غزوات أمير المسلمين وبنى مرين وذكر قبائل بنى مرين ورتب منازلهم وذكر فضائلهم وقيامهم بالجهاد ثم ذكر الأجناد الآخرين من العرب وكذلك الحشم لدى السلاطين من بني مرين ومنها هذين البيتين

بنو فودود والحشم استمروا على نصح مولانا فحابا

وقربهم وصيرهم لديه من الرهط الذي نال اقترابا(٥٥)

وحشمية بنى توجين هذه في الحقيقة صارت علماً عليهم وعلى قبائلهم المختلفة وارتبط بهم حتى تذكر مفردة دون اسم القبيلة، كما صارت علماً بارزاً لرجالهم في السياسة والعلم(٥٦)، ولكن دورهم الحربي ظهر أكثر في المغرب وفي

(٥٤) للمزيد عن علاقة بنى مرين بأولئك الحشم من بنى توجين الزناتين راجع ابن خلدون: المصدر السابق، ص١٨٤ وما بعدها.

(٥٥) على ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، سنة ١٩٩٩م، ط٢، ص٤٨٦.

(٥٦) راجع، أبو بكر بن خميس، أبو عبد الله بن عسكر: أعلام مالقه ،تقديم وتخريج د/ عبد الله المرابط، دار الغرب الإسلامي، دار الآفاق، الرباط، بيروت، سنة ١٩٩٩م، ص٣٠٥. ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، دار الثقافة، بيروت، الدار البيضاء، سنة ١٩٨٥م، ط١، ص٣٩١، ٣٩٦ ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٣٨٤، ٤٨٦،

فترة لاحقة لفترة البحث وما أوردنا هذه المعلومات إلا لنؤكد استمرار نظام الحشم في عهد الموحدين ودورهم وتشكيل البربر لجزء هام من هؤلاء الأحشام المحاربين.

٢-الصقالبة:-

شكل الصقالبة في الأندلس في الفترة المعنية بالدراسة غالبية الحشم في القصور وخارجها وهم في الأساس عناصر أجنبية وأوروبية خاصة جلبت بأعداد كبيرة عن طريق التجارة والحرب والقرصنة،استقبلتها الأندلس الإسلامية وبالذات من جانب الحكام والخاصة ولهذا كونوا فئة هامة من مجتمع الخاصة الأندلسية بعد اندماجهم في الحياة الأندلسية دينياً ولغوياً وعادات وتقاليد، ولم تكن حالة العبودية بالنسبة للصقالبة مستمرة ومستديمة، فاعتق الكثيرون منهم وصار لبعضهم مكانة عالية في المجتمع الأندلسي بحيث تبوأوا المناصب الإدارية الكبيرة وصار منهم الأدباء والشعراء وأصحاب الضياع والثروات والعبيد الخدم كذلك، بل منهم من وصل إلى سدة الحكم في الأندلس(٥٧) وقد عرف هؤلاء

٥٢١، ٥٢٣، ٥٣٩، ابن خلدون: المصدر السابق، ص١١٦، ١١٧، ١٣١، ١٨٤، ١٩٥، ٢٠٥-٢٠٦، أبو الوليد يوسف بن يوسف بن الأحمر: النفحة النسرينية واللمحة المرينية، تحقيق محمد آل طعمة، دمشق، سنة ١٩٩٢م، ص٥٢.

(٥٧) عن الصقالبة أصولهم ووصولهم إلى الأندلس الإسلامية واندماجهم في المجتمع الأندلسي وتبوأهم المناصب وصيرورة بعضهم من الخاصة ووصلوهم إلى سدة الحكم راجع د/ أحمد مختار العبادي: الصقالبة في أسبانيا، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية، المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م. محمد المنوني: ثقافة الصقالبة، مجلة المناهل عدد ٣١،م١١ سنة ١٩٨٤م ص١٨٩وما بعدها. د/ صلاح أحمد عيد: موالي بنى أمية في الأندلس وأثرهم في الحياة السياسية والاقتصادية

الصقالبة بأسماء متعددة وردت في مصادرنا، دلت في الواقع على مدى التطور الذي طرأ على حياة أولئك المماليك الصقالبة في الأندلس منذ أن جلبوا مماليكاً حتى اشتهر بعضهم وارتفعت نجومهم فقد عرف هؤلاء بالمماليك(٥٨) والخرس(٥٩).والمجابيب(٦٠) والعجم(٦١) وهي أسماء أطلقت عليهم في أول عهدهم بالأندلس لأنهم كانوا على أوليتهم دون الإندماج في المجتمع لغة وعادات ولم يعتقوا بعد ولا اشتهر منهم أحد في المجتمع، كما عرف بعض هؤلاء الصقالبة

والاجتماعية في الفترة من بداية عصر الإمارة حتى نهاية عهد الحكم المستنصر ١٣٨-٣٦٦هـ / ٧٥٦-٩٧٦م، ص٨٢ وما بعدها.

(٥٨) ابن حيان: المقتبس السفر الثاني من كتاب المقتبس تحقيق محمود على مكي، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض، سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ط١، ص١٤٧، ١٥٢، ١٦٥، ٢٩٧، ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص٩٥، ١٩٧، ٢٣٠، ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٨، موسى بن عبد الملك بن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج١، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، سنة ١٩٦٤هـ، سلسلة الذخائر ١٠، ص٣٩، ٤٢، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٣، تحقيق أحمد كمال زكى، مراجعة مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٠م، ص٣٧١، ٣٧٤، ابن خلدون: العبر، م٤، ص١٥١، ١٥٣، المقري: نفح الطيب، ج١، ص٢٣٨، ٣٤١.

(٥٩) راجع ابن حيان: السفر الثاني، ص١٥١، ٢٩٧، ٤١٠، ٤٢١، ابن سعيد: المصدر السابق، ص٣٩، ابن خلدون: المصدر السابق، ص١٥٣. المقري: نفح، ج١، ص٢٤٢.

(٦٠) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٢٥٩، أبو الحسن على بن بسام الشنترينى: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٤، م١، ص٣٤، ق٣، ج٢، ص١٤، ١٦، ١١٢، ٢٢٧.

(٦١) ابن حيان: السفر الثاني، ص١٦٩، ابن سعيد: المصدر السابق، ابن خلدون: المصدر السابق.

بالخصيان[٦٢] والبعض الآخر بالفحول[٦٣]، وهما إسمان عرفا بهما هؤلاء الصقالبة حتى قبل أن يجلبوا إلى الأندلس وذلك من أجل تحديد سعر الواحد منهم وأهمية عمله، فالخصيان كانوا أغلى سعراً من الفحول إذ كانوا مطلبون من جانب الحكام والخاصة للعمل في القصور فلا خشية على الحريم منهم، في حين كان الفحول يخدمون خارج القصور في الجيش وغيره كأجناد وقد أطلق على الخصيان والفحول معاً اسم الفتيان[٦٤] وكان أكابرهم قد عرفوا بأكابر الفتيان[٦٥] أو الأبناء[٦٦] أو الخلفاء[٦٧]، وكلها أسماء تدل على ما وصل إليه خاصة أولئك الصقالبة من مكانة اجتماعية وسياسية وإدارية لدى أسيادهم من الحكام الأندلسيين.

---

(٦٢) أبو القاسم بن حوقل النصيبي: كتاب صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، سنة ١٩٩٨م، ص١٠٦، ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٢، ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص٣٧، المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٨٧، ٣٨٨.

(٦٣) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٦٠، المقري: المصدر السابق، ص٣٨٨.

(٦٤) راجع ابن حيان: المقتبس ت الحجي، ص٣٧، ٤٧، ٦٦، ١٠٦، ١١٧، ١٤١، ١٤٧،...الخ، أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعي المعروف بابن الأبار كتاب الحلة السيراء، ج١، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٨٥م، ط٢، ص٢٥٨، ٢٧٨. مجهول: فتح الأندلس، تحقيق لويس مولينا، مدريد، سنة ١٩٩٤م، ص١١٤. المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٨٧ وغيرها.

(٦٥) راجع ابن حيان: المقتبس ت شالميتا، ص٣٧، ابن حيان: المقتبس ت الحجي، ص١٠٣، ١١٩، ١٢٨، ١٥٣، ١٨٥، ٢٣٠ وغيرها.

(٦٦) راجع ابن حيان: المقتبس ت الحجي، ص١٩٤.

(٦٧) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص١١٩، ١٢٨، ص١٥٣، ١٧٠، ١٧٣، ١٨٤، ١٩٨، ٢٠٤، ٢١٢، ٢٣٠، ابن الخطيب: المصدر السابق.

وما يهمنا الآن من أولئك الحشم من الصقالبة ليس مواليهم وخاصتهم أولئك الذين اعتقوا وصاروا من كبار رجال الدولة وخاصتها وأسندت إليهم المناصب أو ارتقوا سلم السلطة حتى صار بعضهم حكام في عصر ملوك الطوائف، ولا أولئك الخصيان والخدم داخل القصور، إنما يهمنا في هذا البحث من أعتق وظل على حالته لم ترتفع به حالة واستمر في الجندية مخلصاً لأسياده أو الذين لم يعتقوا وقضوا حياتهم على ما أتوا وجلبوا له وتربوا عليه في فنون الحرب والقتال وصاروا كالأول أجناد للدولة والحكام وحراساً لهم وللخاصة أيضاً ولا شك أن أغلب هؤلاء كان من الفحول خارج القصر لا من الخصيان، على كل الأحوال مثل هؤلاء الأجناد والمماليك الصقالبة ومواليهم أيضا جزءاً هاماً من الفرق العسكرية المختلفة بحيث صار لا غنى لحكام الأندلس عنهم في معاركهم وحروبهم الداخلية والخارجية ولهذا نلمس منذ البداية إهتمام حكام بنى أمية بهم وبجلبهم فإذا كان عبد الرحمن الداخل قد وضع أساس سياسة الاستراباة بالعرب والاستعانة بالموالي والعبيد واضعاً كذلك أساس تكوين الجيش الأموي في الأندلس فإن حفيده الحكم الربضى (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٨٦-٨٢١م) أعلى هذا الأساس واهتم جداً بأولئك الأحشام وذلك نتيجة لاضطراب الأحوال في عهده وكثرة الثورات، ولذا انهمك الحكم بداية من سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٤م "في استضمام الرجال وإكثاف الجند وابتياع العبيد وإعداد السلاح والعدة لا يطمئن إلى دعة ولا يسكن إلى طمأنينة"[٦٨]. وإزداد في ذلك بعد ثورة الربضيين عليه يقول ابن حيان[٦٩] "إنهمك الحكم فيما بعد على اشتراء العبيد المماليك والاستكثار منهم والانتحال لهم وتمرينهم على ركوب الخيل والعمل بالسلاح ... فآوى منهم إلى

(٦٨) ابن حيان: السفر الثاني، ص١٢٦.

(٦٩) المصدر السابق، ص١٦٥.

ركن شديد ... وعززهم بإلحاق الرجال الأحرار وتنزيلهم مراتب الإرتزاق بحسب الفناء ـ أى في الحرب ـ وقدر الاستحقاق، وأحسن إليهم وأقام همتهم" وهؤلاء غيرأولئك الذين ورثهم عن أبيه هشام الرضا (١٧٢-١٨٠هـ/ ٨٧٧-٧٩٦م) حيث يذكر ابن حيان[٧٠] أنه ورث فرقه خاصة عن أبيه هشام يدعون بالخاصة أكثرهم من فيء أربونة[٧١]. وهؤلاء وأولئك هم أنفسهم حشم الحكم الذين أشارت إليهم المصادر في نصوصها فأهل قرطبة "لا يزالون يتسلطون على غلمانه العجم وجنده الحشم ويعرضون لهم في الأندية ويسمعونهم القبيح"[٧٢] والحكم هو "أول من جند الجند المرتزقة بالأندلس.. واستكثر من الحشم والحواشي.. واتخذ المماليك وجعلهم من المرتزقة"[٧٣]

وهؤلاء الحشم من الصقالبة حافظ عليهم خلفاؤه وبعضهم أكرمهم وزاد في الإحسان إليهم ليزداد ولاءهم للأسرة الأموية فقام عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م) خليفته وابنه بإعتاقهم جميعاً وذلك بعد أن تولى

---

(٧٠) المصدر السابق، ص١٥٢.

(٧١) أربونة أو نربونه(Narbonna):هي إحدى مدن إقليم سبتمانيا خلف جبال البرانس مباشرة من أرض الفرنجة، وكانت قاعدة أساسية للمسلمين في الجهاد ضد الفرنجة والتوسع في ما وراء جبال البرتات، عن هذه المدينة راجع، ياقوت: ج١، ص١٤٠، الحميري: الروض، ص٢٤، منى حسن محمود: قاعدة نربونه ودورها في الجهاد ضد الفرنجة والتوسع في أوروبا، (١٠٢-١٤٩هـ/ ٧٢٠-٧٦٦م)، القاهرة، ٢٠٠١م.

(٧٢) المصدر السابق، ص١٦٩.

(٧٣) النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٧٤ راجع كذلك ابن الأثيرأبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري: الكامل في التاريخ،ج٥، تحقيق ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٥م، ص٤٦٦. ابن سعيد: المصدر السابق، ص٣٩، ابن خلدون: المصدر السابق، ص١٥٣.

الإمارة مباشرة[٧٤] ولذلك كان إخلاصهم للبيت الأموي عامة كبيراً ثم للمتولي منهم خاصة ولذلك لم يثيروا المنازعات ولم يتدخلوا في صراعات أفراد البيت الأموي على السلطة ولهذا وجدنا أحد فرقهم بقيادة ابن السليم[٧٥] لم تشأ أن تتدخل في النزاع بين محمد بن الأمير عبد الرحمن ومحمد الثاني ولد طروب على العرش وظلت الفرقة متوقفة معلنة ولاءها لمن يدخل القصر ويبايع مهما حتى تم الأمر للأمير محمد لاخلاقه وسعيه الجاد نحو منصب الإمارة[٧٦].

وقد استمرت الزيادة في أعداد هؤلاء الصقالبة وتطعيم فرقهم بعناصر جديدة منهم حتى وصلت ذروتها في عصر الخلافة، بحيث طبقت شهرة حشم الصقالبة الآفاق وبالذات صقالبة الزهراء[٧٧] في عهدي الناصر والمستنصر، لاعدادهم

---

(٧٤) ابن حيان: المصدر السابق، ص٢٩٧.

(٧٥) هو يوسف بن بسيل من أسرة بنى بسيل الرومية الأصل موالي بنى أمية وقد عملوا في الأندلس بخدمة مواليهم وتولوا لهم الخطط والمناصب الرفيعة، عن يوسف وأسرته راجع صلاح عيد: موالي بنى أمية في الأندلس، ص٦٤-٧٦.

(٧٦) ابن القوطية: المصدر السابق، ص٩٤.

(٧٧) الزهراء: مدينة ملوكية بناها عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله في سفح جبل العروس من جبال قرطبة وسميت بالزهراء نسبة إلى أحدى محظياته، وقد حشد لها الناصر كل الإمكانات المادية والبشرية حتى تم بناءها على يد ابنه وولى عهده المستنصر بالله على أتم وجه وإبرزإيهة فانتقل إليها سنة ٣٢٥هـ /٩٣٦ م بأهله وإدارته وتحولت أعمال الدولة إليها ولكن المدينة لم تدم طويلا كقاعدة ملوكية تدار منها الدولة إذ أدالها محمد بن أبى عامر بمدينة الزهراة وذهبت المدينتان في الفتنة البربرية، للمزيد عن هذه المدينة راجع: محمد بن محمد بن عبد الله المعروف بالشريف الإدريسي :صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق طبعة ليدن سنة ١٨٩٨، ص٢١٣، ابن سعيد: المغرب، ص١٧٩، الحافظ محمد بن أيوب بن

الكبيرة[٧٨] من ناحية ودور بعضهم البارز في السياسة من ناحية أخرى وظلوا مع ذلك حتى فل حدهم وشتت شملهم المنصور محمد بن أبى عامر الذي استعان كما رأينا بأعداد كبيرة من البربر الحشم واستخدمهم في الجيش. الأموي يضمن ولاءها له فقط ولكن ليس معنى ذلك القضاء. على الحشم الصقلبي في جيش الدولة الأموية بل نجد المنصور يستكثر منهم بالشراء مستهدفاً أيضاً الولاء الكامل له من قبل كل قوات الجيش وللتدليل مع ذلك نذكر ما نقله المقري[٧٩] عن المنصور أنه "جند البرابرة والمماليك واستكثر من العبيد والعلوج" هذا بالإضافة إلى ما أمدته به غزواته المستمرة إلى الشمال النصراني من مماليك

غالب الأندلسي الغرناطي: نص جديد من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبد البديع، مطبعة مصر سنة ١٩٥٦م، فصلة من مجلة معهد المخطوطات العربية ،م١ ج٢ ،سنة ١٩٥٥م ص٢١-٢٣. ياقوت: معجم البلدان ج٣، ص١٦١، ابن الخطيب: تاريخ ص٣٨، الحميري: =الروض ص٢٨٣،٢٩٥ ، المقري: نفح، ج١، ص٥٢، ٥٢٨، ٥٦٧، ٥٦٨، المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ج٢ تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، سنة ١٩٤٠م، ص٢٦٥-٢٦٩، السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، سنة ١٩٨٥م، ص٢٣٣، محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول القسم الثاني، الخلافة الأموية والدولة العامرية، القاهرة، سنة ١٩٨٨م، ط٣، ص٤٣٦ وما بعدها، محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية، ص٣٥-٤٤، راجع كذلك

Rafael: Castajon:Cordoba Califal, en Boletin de la Real Academia de Cordoba, No 25,1959-60 pp.322-23, Manuel Ocona Almonso: Madinat Al Zahara, El urbanimo Musulman, en Cuaderno de Madinat Al-zahara, vol 1, Cardoba, 1987 p17FF-Bermijo Juaquin Vallve: la divison terretorial de la Espana Musulmana, Madrid 1966 pp.57-60, etc.

(٧٨) راجع ما سيأتي ص ٤٤-٤٧من البحث.

(٧٩) نفح ج١، ص٣٩٩.

فيذكر ابن الخطيب[٨٠] ذلك بقوله "درت الفتوح ــ أى على المنصور ــ فتعددت مماليكه وحشمه" أولئك الذين كثروا في داخل القصر وخارجه، بحيث أظهر منهم أمام رسول ملك الروم والدولة البيزنطية في احتفال ضخم محاولاً فيه إظهار عزالإسلام وعظمته وإكبار المسلمين وأحوالهم، نقول أظهرمنهم ألفاً في أحسن صورة وأجمل شارة عليهم أقبية من الذهب والفضة ومناطق من الذهب والفضة كذلك[٨١]. وقيل عن هؤلاء الصقالبة في عهده أنهم ذوى أعداد كبيرة وطبقات ويذكر ابن الخطيب[٨٢] "أن جارى اللحم على صقالبة ابن أبى عامر على طبقاتهم في الشهر وقسط المياومة سبعة وعشرين ألف رطل". وقد علق أرشيبالد لويس[٨٣] على تواجد هؤلاء الصقالبة بكثرة في عهد المنصور ودورهم الحربي بقوله "وغيرنظام تكوين الجيش الأموي تغييراً كاملاً فاستخدم جماعات كبيرة من المرتزقة والصقالبة في فرق الطليعة" .

وأخيراً نذكر أن دورهم الحربي يتأكد بما آل إليه أمر بعضهم بالاجتماع من شرق الأندلس عندما إنهارت الخلافة بل وإقامة كيانات سياسية قوية لها دورها في عصر ملوك الطوائف[٨٤]، أولئك الذين لم يستغنوا هم الآخرين عن الحشم

(٨٠) تاريخ، ص٦٦.

(٨١) المقري: المصدر السابق، ج٣، ص٥٨.

(٨٢) المصدر السابق، ص١٠٢.

(٨٣) القوي البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط(٥٠٠-١١٠٠م) ترجمة أحمد محمد عيسى راجعة محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سنة ١٩٥٠م، ص٣٢١.

(٨٤) عن صقالبة شرق الأندلس في عصر ملوك الطوائف راجع، ابن بسام، المصدر السابق، ق٣، م١، ص٢٤ وما بعدها. ابن عذاري: البيان، ج٣، ص١٥٤-١٦٧، مجهول، فتح الأندلس، تحقيق لويس مولينا مدريد، سنة ١٩٩٤م، ص١١٩، محمد عبد الله عنان: دول

الحربي من الصقالبة، فإذا كان ابن الخطيب[٨٥] يذكر أنهم "جندوا الجنود" فإن مصادر أخرى أكدت أن الصقالبة كانوا ضمن هؤلاء الأجناد فالحموديون منذ بداية تحكمهم وسلطانهم في الأندلس لم يستغنوا عن هؤلاء الصقالبة فعلى بن حمود الملقب بالناصر المتوفى سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م كان له مجموعة من العبيد الصقالبة وكان على أيديهم وفاته فقتلوه في الحمام[٨٦]. ويروى ابن الخطيب[٨٧] عن أحد الصقالبة المثقفين وشهرعنه الصدق وعزة النفس والشهامة وهو أبى الفضل جعفر الفتى أنه رأى المظفر بالله باديس بن حبوس الزيري (٤٢٨-٤٦٧هـ/ ١٠٣٧-١٠٧٣م) في مجلس شراب وقد اصطفت الصقالبة والعبيد بالبهو أمامه لخدمة إرادته، ويذكرأنه عند إستسلام الأمير عبد الله بن باديس آخر ملوك الزيريين بغرناطة للمرابطين ظهر عدد كبيرمن الصقالبة من حرسه وأهل موكبه إذ كانوا عند توجهه إلى يوسف بن تاشفين بين يديه يفسحون له الطريق ومنهم من التف حول ركابه في أبهى ملابس وزينة يركبون أحسن الخيل المزينة

الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى، مكتبة الخانجى، القاهرة، سنة ١٩٨٨، ط٣، ص١٥٨ وما بعدها.

(٨٥) تاريخ، ص١٤٤.

(٨٦) راجع أبو عبد الله محمد بن نصر الحميدى: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، المكتبة الأندلسية ٣، الدار المصرية للتأليف دار الرحمة، القاهرة، سنة ١٩٦٦م، ص٢٢، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبى: بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، المكتبة الأندلسية ٦، دار الكاتب العربي القاهرة، سنة ١٩٦٧م، ص٢٧.

(٨٧) راجع لسان الدين ابن الخطيب السلماني: الإحاطة بأخبار غرناطة، ج٤، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، سنة ١٩٧٣م، ط٢، ص٤٤١.

بالحلي [٨٨] وهذه المعلومات قد دفعت أحد المحدثين[٨٩] إلى القول أن معظم رقيق البلاط الإشبيلي في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي كانوا من الصقالبة، فهذه الإشارات إذاً تدلل على استمرار حشم الصقالبة الأجناد في حراسة ملوك الطوائف وجيوشهم ولا شك أن استخدام الصقالبة في الجندية في عصر المرابطين والموحدين بالأندلس كان مستمراً في ظل الظروف الحربية والجهاد ضد نصارى الشمال بالذات. فاستمرار المعارك بين الطرفين أسفر عن أعداد من الأسرى الأسبان في أيدي المسلمين وهؤلاء مع مرور الأيام صاروا في حشم الأمراء والخلفاء فلو نظرنا على سبيل المثال إلى موقعة الزلاقة[٩٠] التي انتصر فيها المرابطون على ألفونسو السادس ملك قشتاله سنة ٤٧٩/١٠٨٦م فقد سقط فيها في أيدي المغاربة والأندلسيين ما وصل إلى عشرين ألفاً منهم تم نقلهم جميعاً إلى المغرب الأقصى[٩١] ومع أن بعض المحدثين[٩٢] يذكر أنهم

(٤) رينهرت دوزي: المسلمون في الأندلس، ج٣، الهيئة المصرية العامة، للكتاب سنة ١٩٩٥م، ص١٤٧. هنرى بيرس: الشعر الأندلسي، ص٢٣٤

(٨٩).راجع محمد المنوني: ثقافة الصقالبة، مجلة المناهل المغربية السنة١١، عدد ١١ ديسمبر سنة ١٩٨٤م، ص١٩٠.

(٩٠) الزلاقة: مكان قريب من مدينة بطليوس غرب الأندلس راجع الحميري: الروض، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٩١) راجع مارمول كربخال :افريقيا، ج٢، ترجمة محمد حجى وآخرون، الرباط سنة ١٩٨٨-١٩٨٩م، ص٥٦، عبد الاله بتمليح: الاسترقاق في الغرب الإسلامي بين الحرب والتجارة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، سلسلة بحوث دراسات(٢٠) وجدة، سنة ٢٠٠٣م، ص٥٤.

استخدموا في الأعمال المدنية، إلا أن أولئك المماليك لابد وأن بعضهم جند وصاروا في عداد حشم الأمراء ورجال الخاصة المرابطين، ولم لا ؟ وقد استخدمهم يوسف بن تاشفين منذ بداية الدولة في الجيش والحراسة فتذكر المصادر[٩٣] أنه أرسل إلى بلاد الأندلس فاشترى أعداداً منهم وضمهم إلى حشمه وسماهم الداخليين ،وقد أطلق عليهم أحياناً اسم الروم والعلوج أو الأعلاج بدلاً من لفظ الصقالبة القديم[٩٤] وهكذا كان الحال مع الموحدين وندلل على ذلك بكثرة الأسرى من الأسبان الذين كانوا في تدفق مستمر بسبب الحروب وكثرتها فعلى سبيل المثال، لما أغار نصارى شنترين[٩٥] على ناحية إشبيلية سنة ٥٦١هـ/ ١٠٦٦م تصدى لهم الموحدون واستردوا منهم الغنائم وهزموهم وساقوا من سبيهم مائه فارس وجملة من الأعلاج الآخرين[٩٦]، ولما أغار النصارى على

(٩٢) إبراهيم القادري بوتشيش: مسألة بناء الكنائس بالمغرب الأقصى خلال عصر المرابطين من منتصف القرن ١١ إلى منتصف القرن ١٢، ضمن ندوة: الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، تنسيق محمد حمام، الرباط، سنة ١٩٩٥م، ج١، ص٩٥.

(٩٣) مجهول: الحلل الموشيه، ص٢٢

(٩٤) راجع: إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٩٨م، ط١، ص٤٦.

(٩٥) شنترين (Sentren) :مدينة تابعة لكورة باجة غرب الأندلس تقع على نهر تاجة قريباً من انصبابه في المحيط راجع ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٣٦٧، الحميري: الروض، ص٣٤٦، أبو محمد الرشاطي، ابن الخراط الإشبيلي: الأندلس في كتاب اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، مدريد، سنة ١٩٩٠م، ص٨٨، ١٩٣، ومازالت المدينة تحتفظ بطابعها الإسلامي إلى اليوم راجع عنان: الآثار الأندلسية، ص٤٠١ وما بعدها.

(٩٦) ابن عذاري: البيان، قسم الموحدين، ص٩٣.

غرناطة سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٨م صدهم الموحدون وتعرض المغيرين للقتل والأسر والسبي وساق الموحدون منهم ثلاثة وخمسون علجاً إلى مدينة غرناطة[٩٧] ،ولما جردت حملة موحدية سنة ٨٨٧هـ/ ١١٩١م لغرب الأندلس لرد اعتداءات النصارى تحصل الموحدون من شلب[٩٨] وقصر أبى دانس[٩٩] وباجة[١٠٠] ويابره[١٠١] على خمسة عشر ألف سبية. وثلاثة آلاف في أسير من الروم وحملوا جميعاً إلى مدينة قرطبة[١٠٢] مما يدل على عدم انقطاع ورود

(٩٧) عبد الملك ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق عبد الهادى التازى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة ١٩٨٧م، ط٣، ص٢٧٥.

(٩٨) شلب (Silves) مدينة بغرب الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام وهي قاعدة كورة إسلامية قديمة تعرف باسم اكشونبة بغرب الأندلس، راجع ياقوت: معجم، ج٣، ص٣٥٧-٣٥٨، الحميرى: الروض، ص٣٤٢.

(٩٩) قصر أبى دانس: مدينة ساحلية بغرب الأندلس، راجع الحميرى: الروض، ص٤٧٥.

(١٠٠) باجة: (Beja) مدينة قديمة البنيان عاصمة لكورة باجة الإسلامية بغرب الأندلس يتبعها مدن وقرى كثيرة، كانت مدينة عامرة ذات زرع وضرع أيام المسلمين، وقد سقطت في أيدي النصارى سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦١م للمزيد راجع ابن غالب فرحة الأنفس، ص٢١، الحميرى: الروض، ص٧٥، عنان: الآثار، ص٤٠٦-٤١٠.

(١٠١) يابره (Evora) مدينة من كورة باجة غرب الأندلس وهي مدينة قديمة تقع شمال باجة وجنوب شرق لشبونة على مقربة من بطليوس. وذلك في منطقة خصبة كثيرة المزارع والمحاصيل خاصة الزيتون راجع: الرشاطي: اقتباس الأنوار، ص٩٥، ١٩٩، عنان الآثار الأندلسية، ص٤١١-٤١٤.

(١٠٢) ابن أبى زرع: الأنيس، ص٢١٩، أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الإستقصا بأخبار المغرب الأقصى، ج٢، تحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري، الدار البيضاء، سنة ١٩٩٧م، ط١، ص١٨٤.

عنصر الصقالبة إلى الأندلس وإنخراط بعضهم في حشم الحكام والخاصة بالأندلس ممن لعبوا دوراً هاماً في النواحي العسكرية والحراسات كما سيتضح لنا بعد ذلك في البحث.

٣-السودان:-

مثل العنصر الأسود والذي عرف في الأندلس باسم السودانيين والزنوج أو الأحباش جزءاً هاماً من أجناد الحشم في الأندلس وإن كانت الأكثرية من هذا العنصر تعمل في القصور للخدمة ورعاية مصالح وأحوال الحكام وحريمهم، إلا أن الجزء المتبقي خدم خارج القصر في الجندية وحمل السلاح، وقد ظهر هذا العنصر مبكراً في الأندلس وأغلبه كان عن طريق أسواق النخاسة المنتشرة في العالم آنذاك وقد استكثر منهم بنو أمية وظهرت شجاعة بعضهم وتحتم على الكتاب ذكرها فلا ينسى ذلك المولى الحبشي من أجناد عبد الرحمن بن معاوية الذي كان ملبياً لداعي الإخلاص لمواليه، فكان البادئ بالحرب والنزال يوم المصاره قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى قرطبة سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٩م بعد أن تصدى لمولى بربري من موالى يوسف بن عبد الرحمن الفهرى والي الأندلس قبل ابن معاوية (١٢٩-١٣٨هـ/ ٧٤٦-٧٥٦م) فهزمه[١٠٣] وكان ذلك بداية النصر لعبد الرحمن في هذه المعركة التي أثرها دخل قرطبة وأعلن قيام الإمارة الأموية. وينقل المقري[١٠٤] عن ابن حيان أن عبد الرحمن بن معاوية استكثر من شراء العبيد السود واتخذ منهم أربعين ألف رجل فصار بهم غالباً على أهل الأندلس من العرب واستقامت مملكته وتوطدت، وأورد لنا صاحب

(١٠٣) وكان هذا الرجل يكنى أبا البصري راجع: مجهول: أخبار مجموعة، ص٩٠.

(١٠٤) نفح الطيب، ج٣، ص٣٧. راجع كذلك مجهول: فتح الأندلس تحقيق لويس مولينا مدريد، سنة ١٩٩٤م، ص١٠٤.

أخبار مجموعة[١٠٥] خبراً يؤكد أن جيش عبد الرحمن احتوى على عرافة من السود من أحشامه ولا شك أنها كانت كبيرة تحتوى آلاف السودانيين لا عشرات ولا مئات كما عرفت العرافات بعد ذلك إذ لم يكن في جيش ابن معاوية عرافه غيرها. وهي التي ضم إليها بزيعاً جد بنى بزيع موالى بنى أمية أرباب الخطط والمناصب في عهد الإمارة الأموية وذلك لأن أحد الخاصة دفعه إلى الحرب مع الأمير عبد الرحمن في أحد المعارك الداخلية مع الثوار فأبلى ذلك العبد بلاءً حسناً وأجزأ وظهرت منه نجدة وشجاعة فسأل عنه عبد الرحمن عبداً هو أم حراً فقيل له عبد فأمر بشرائه فاشترى وعرفه بعرافة السود التي ليس هناك غيرها[١٠٦]. وهو ما يؤكد أن أولئك السودانيين متواجدون منذ بداية عهد الدولة الأموية كأجناد لا كما يقول هنري بيريس[١٠٧]وغيره[١٠٨] من أنهم جيئ بهم على نحو خاص ابتداء من عهد عبد الرحمن الناصر ليكونوا حرصه الخاص شديد الوفاء. وهوما يؤكده لنا أيضا الأخبار الواردة عن أمراء من بنى أمية قبل عهد عبد الرحمن الناصر، ففى تفرقة واضحة في مصادرنا[١٠٩] بين العبيد وهم من السوداونيين المماليك وهم الصقالبة أو العنصرالأبيض قيل أن الحكم الربضى انهمك من شراء الصنفين معاً والاستكثار منهم وتدريبهم وهم الذين قصدهم الحكم

(١٠٥) مجهول، ص٩٩.

(١٠٦) أخبار مجموعة، ص٩٩.

(١٠٧) المرجع السابق، ص٢٣٧.

(١٠٨) راجع مثلا: ابن حيان: السفر الثاني، ص١٥٥.

(١٠٩) Miguel Cruz Hernandez: El Eslam de Al-Andalus, Historia y estecuctara de realidad social, Madriel 1992, p.183, Rachel Arie: Espana Musulmana (siglos VII-XV) en Historia de Espana T III dirigida por M.T. de Lara, Madrid 1992, p.124.

نفسه في قوله "ما استعدت الملوك بمثل الرجال وما حامى عنها مثل عبيدها[١١٠]" وهؤلاء العبيد السود ساواهم دوزى[١١١] بأولئك الصقالبة الخرس إذ قال "واستكثر في حرسه من الفرسان المماليك المسمون بالخرس لأنهم كانوا من الزنوج والعبيد الأعاجم الذين لا يعرفون العربية" وهو ما يعنى لدينا حرص خلفاء الداخل على اقتناء هؤلاء السود واستخدامهم في الجندية والحراسة وهي سياسة تمسك بها عبد الرحمن الناصر وأكثر من شراء العبيد السود للخدمة في القصور وكذلك لزيارة قوة الجيش وهو الذي يذكرعنه على لسان ابن حزم أنه هوالذي علق أبناء السودانيين في ناعورة قصره بدلاً من الأقداس الغارفة للماء فأهلكهم[١١٢] دلالة على قسوته، كما أن الناصر لما أراد أن يطعم جيشه ويقويه أنف أن يطلب من اتباعه في المغرب جنداً فأقبل على شراء العبيد والبربر من المغرب "فلم يستخدم إلا أراذلهم وعبدانهم من أشابتهم أساودهم[١١٣]" وكان هؤلاء العبيد الحشم من الحضور عند وفاة الناصرلدين الله كماحضروا حفل تنصيب المستنصر بالله[١١٤]. والواقع أنهم كانوا يحتلون أسفل السلم العسكري ويكلفون بأحط الأعمال وأشقها[١١٥].

---

(١١٠) ابن حيان: المصدر السابق، ص١٥٥.

(١١١) المسلمون في الأندلس، ج١(المسيحيون والمولدون) ترجمة حسن حبس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٨م، ص٦٥.

(١١٢) ابن حيان: المقتبس: ت شالميتا، ص٩٠.

(١١٣) ابن حيان: المقتبس ت الحجى، ص١٩٠.

(١١٤) المقري: نفح، ج١، ص٣٨٨.

(١١٥) بروفنسال (ليفي): تاريخ أسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية ٧١١-١٠٣١م، النظم والمؤسسات والحياة الاجتماعية، م٢، ج١، والفكرية، ترجمة محمد

وقد سار الحكم المستنصر ابنه على دربه في هذا الشأن فقد ألحق بخدمته كتيبة من الزنوج العبيد كانت مع جعفر ويحيى ابنى على الأندلسي لما قدما إلى قرطبة وكانا ضنينين بها وبعد ضغط شديد مارسه عليها الحكم رضيا بشراء الحكم لها[١١٦]، فألحقهم بطوابير العجم في خدمته رغم أن أفرادها كانوا من الخوارج الإباضية[١١٧]. ويعلق بروفنسال[١١٨] على استخدام الأمويين للسودان بقوله "إن الأمويين استعانوا في كل العصور خاصة الحكم الثاني بالسود في حرسهم الخاص والذي كان يختار بعناية ويسلح بأفضل المعدات كما تشهد بذلك عروضهم في احتفالات الاستقبال الرسمية للرسل والملوك أو عند أخذ البيعات، واستمر استعانة حكام الأندلس بأجناد الحشم من السودان بعد عصر الأمويين الزاهر فلما استبد المنصور بالخليفة هشام المؤيد استجلب عدد وافر منهم كما فعل مع البربر وجند منهم أعداداً كبيرة لكونهم معروفين بقوة التحمل والخفة والركض السريع[١١٩] ولذلك ألف منهم سعاة للبربر أو رقاصين أو ركاضين كانوا يخدمونه في الحملات مجمل الرسائل والإسراع بتوصيلها وقد نقل ابن الخطيب[١٢٠] "إنهم كانوا الفا رجل من رقاصة السودان" ويذكرعنه في غزوته

الأسبانية على عبد الرءوف البمبى وآخرون، المشروع القومي للترجمة رقم ٣٢١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة ٢٠٠٢م، ص٨٥.

(١١٦) راجع ابن حيان: المقتبس ت الحجي، ص١٩٢، بروفنسال المرجع السابق، ص٨٨، Rachel: op. cit. p.125.

(١١٧) ابن حيان: المصدر السابق.

(١١٨) المرجع السابق، ص١٧٠.

(١١٩) بروفنسال: المرجع السابق.

(١٢٠) تاريخ أسبانيا، ص١٠٢.

سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م لجليقيه[١٢١] وقشتالة[١٢٢] وعندما اشتد به المرض كان السودان يحملون سريره الذي وضع عليه وهو القائل "وددت أن أقال زلتى وأنا كبعض هؤلاء السودان الحاملين لسريري"[١٢٣] وقد احتفظ ابنه عبد الملك المظفر بأولئك السودان كما عند خاصته من رجال دولته كذلك وذلك كما يفهم من حادثة

(١٢١) مملكة نصرانية تكونت منذ فترة مبكره على يد بلاي سنة ٩٨هـ/ ٧١٨م في الركن الشمالي الغربي من الجزيرة ولم تسم بهذا الاسم في البداية وإنما سميت بذلك في عهد خليفته وزوج ابنته الفونسو والذي ضم إليها كنتابريا Cantabria كما عرفت هذه المملكة باسم اشتورياش أيضا ولكن الأشهرعنها جليقية وسميت به لكونها وافقت في موقعها جليقيه الرومانية القديمة وقد ظل هذا الاسم علماً عليها حتى تغير في أوائل عصر الخلافة الأموية وحملت اسم ليون وإن ظل الاسم جليقية يذكر في مصادرنا الإسلامية. عن هذه المملكة راجع، حسين مؤنس: بلاى وميلاد اشتريش وقيام حركة المقاومة في الشمال، فصلة من مجلة كلية الآداب ــ جامعة فؤاد الأول م١٢ ج١ سنة ١٩٤٩م، أحمد بدر: تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة) دمشق سنة ١٩٧٤م، ص٥٤ وما بعدها. ليفى بروفنسال: تاريخ أسبانيا الإسلامية منذ الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١) ترجمة على عبد الرءوف البمبى وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، سنة ٢٠٠٠م، ص٧٤-٧٥، دوزى: المسلمون في الأندلس ج٢ ترجمة حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة لكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٤م، ص١٤ وما بعدها.

(١٢٢) ظهر هذا الاسم عندما استطاع سانشو الأول Soncho 1 أو الكبير بسط سلطانه على الأراضي الإسلامية من الشرق إلى الغرب حتى نهر دويره جنوباً وبعد وفاته سنة ١٠٣٥م ثبت هذا الاسم بعد أن استطاع ولده فرناندو Fermando بعد عامين أن يوحد ليون وجليقية واشتورباش ويصير أقوى من أخوته الذين تقاسموا ملك أبيهم حيث صار لهم مالا يكاد يعدل ثلث ما يحكم هو وقد عرف بملك قشتالة، ورغم تقاسم اولاده هذه المملكة إلا أن الاسم ظل عند المسلمين يغلب على المنطقة كلها كما ظل اسم جليقية غالبا على اشتورياش وليون كذلك راجع دوزي: المرجع السابق.

(١٢٣) ابن بسام :الذخيرة،م٣ص٧٤.

مقتل كاتب أبيه المفضل عبد الملك الجزيرى[١٢٤] إذا أدخل عليه في مطبقه أي سجنه قوم من السودان فخنقوه وأشيع موته سنة ٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م[١٢٥] بل أكثر من هذا يقول ابن حيان[١٢٦] أنه سأل الذي تولى قتل عبد الملك من السودان عن كيفية قتله فقال له: ما كان الشقي إلا كالفروج في يدي فدققت رقبته بركبتي فما زاد إلا أن نفخ في وجهي" ويعلق ابن حيان فعجبت في جهل هذا الأسود.

وإذا انتقلنا إلى عصرملوك الطوائف الذين حاولوا التشبة بالأمويين في كل شئ نرى الحشم من السودان حولهم إذ توجد إشارات جديدة في مصادرنا تؤكد تواجد السودان بكثره في المجتمع الأندلسي وشيوعهم في الخدمات المختلفة[١٢٧] ومنها ما أشار إليه الوزير محمد بن أيمن وزيرالمتوكل على الله صاحب بطليوس (٤٦٤-٤٨٨هـ/ ١٠٧٢-١٠٩٤م) بتقسيره لبيتين من الشعر ورد فيهما عبارة "اختلاط البيض بالسود" وأن صاحبها أراد الشباب والشيب

(١٢٤) هو أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيرى من خاصة الدولة العامرية ووزرائها وأحد كتابها اللامعين من العلماء الأدباء وشاعر كثير الشعر معدود في البلغاء وله العديد من الرسائل النثرية والأشعار المدونة استكتبه المنصور بنى أبى عامر وابنه المظفر، وراح ضحية الصراع بين رجلي الدولة المظفريه وهما سعيد القطاع وطرفة الصقلبى فقتل بتدبير من سعيد القطاع راجع: ابن بسام: الذخيرة ق٤ م١، ص٤٠٤ وما بعدها. الحميري: جذوة المقتبس: ص٢٨، الضبى بغية ص٣٨٤ راجع كذلك ابن سعيد: المغرب ج١ ص٣٢١-٣٢٢. المقري: نفح الطيب ج١ ص٤٨، ج٣ ص٩٥، ٢٥٨، ج٤ ص٦٦.

(١٢٥) ابن بسام: الذخيرة ق٤ م١ ص٥٢.

(١٢٦) راجع ما نقله عنه ابن بسام: المصدر السابق.

(١٢٧) راجع على سبيل المثال ابن بسام: الذخيرة ق١، ص٧٩٦.

وقال: "والله ما أراد بهما إلا الروم والزنج" وكنى باختلاطهما وانتشارهم فينا وانبساطهم.(١٢٨)

أما عن مساهمة السلطة السياسية في جلب العبيد السود واتخاذهم جنداً وحرساً فإن مشاركة السودان في الأحداث والمعارك الحربية يؤكد حرص هؤلاء الحكام على اقتنائهم، فنجد بنى حمود وهم مازالوا حتى في قرطبة يهتمون بأولئك العبيد واتخاذهم جنداً فالقاسم بن حمود في ولايته الأولى لقرطبة (٤٠٩-٤١٢هـ/ ١٠١٨-١٠٢١م) لم يكن ثقة من البربر فبحث عن عنصر آخر يعتمد عليه غيرهم فاستند على رقيق البربرمن السودان وكانوا جمعاً كثيفاً فاجتهد في شرائهم ثم استقدم آخرين من المغرب(١٢٩) وسار بعده الحموديون في هذا السبيل بعد استقلالهم في عصر الطوائف بجنوب الأندلس، فوجدنا ابنه محمداً كون جنداً من المغاربة والسودان(١٣٠)، ووردت الإشارة إلى ترتيب السودان في قصبة مالقة(١٣١) أيام الحموديين(١٣٢) وفي قرمونة عقب وفاة أميرها الحمودى يحيى بن

(١٢٨) أبو النصرالفتح محمد بن عبد الله بن خاقان الإشبيلى: قلائد العقيان في محاسن الأعيان مصر، بدون، ص١١٢، ١١٣.

(١٢٩) ابن بسام: الذخيرة ق١ م١ ص٤٨١، المقري: نفح، ج١، ص٤٨٤..

(١٣٠) راجع الحميدي: جذوة المقتبس ص٣١، الضبى: بغية الملتمس ص٣٧.

(١٣١) مالقة (Malaga): مدينة أندلسية من أعمال كورة ربه على شاطئ البحر من الجزيرة والمرية وهي ميناء يتردد عليه التجار والمراكب كثيراً وهو ما زاد في عمارتها في العصر الإسلامي وهي اليوم عاصمة ولاية في جنوب أسبانيا تحمل نفس الاسم، وقد سقطت في أيدى النصارى سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م للمزيد عنها راجع ياقوت: معجم البلدان ج٥ ص٤٣، الحميرى: الروض ص٥١٧ ومحمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية ص٢٤٢-٢٥٢.

على[١٣٣]، كما ظهر عنصر السودان في عهد إدريس الثاني بن على بن يحيى (٤٣٤-٤٣٨هـ/ ١٠٤٣-١٠٤٦م) الذي كون منهم عدداً كبيراً ولكنه أساء معاملتهم فكان ذلك سبباً في مناصرة غريمه من الأسرة ومساعدته في إعتلاء عرش الحموديين وهو محمد بن إدريس الملقب بالمهدي (٤٣٨-٤٤٤هـ/ ١٠٤٦-١٠٥٢م)[١٣٤] كما وجد عنصر السودان في غرناطة أيام باديس بن حبوس الزيرى (٤٢٨-٤٦٥هـ/ ١٣٧-١٠٧٣م)[١٣٥]. وشكلوا فرقة عسكرية خاصة في جيش زهير الفتى(سنة ٤١٩-٤٢٩هـ/ ١٠٢٨-١٠٣٨م) بمدينة ألمرية[١٣٦]كما كون السودان جزءاً هاماً من حشم ملوك إشبيلية العباديين بدليل ما

---

(١٣٢) الحميدي: جذوة ص٣٤، الضبى: بغية ص٤٠، ابن بسام: المصدر السابق ق٢ م١ ص٤٢٣.

(١٣٣) ابن عذارى: البيان ج٣ ص١٨٩، ابن الخطيب: تاريخ ص١٣٧.

(١٣٤) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن ق٢، تحقيق محمد بن شريفة، الرباط سنة ١٩٨٤م ص٤٢٣. راجع كذلك ابن بسام: المصدر السابق ق٢ م١ ص٤٩-٥٠.

(١٣٥) ذكر منهم ابن الخطيب مؤمل في ترجمة كاملة لشخصة إذ كان مع الأمير عبد الله يوم استسلامه ليوسف بن تاشفين وقام بدور فاعل في تصفية أمر الأمير عبد الله وكان في صف يوسف بن تاشفين بعدما أساء الأمير عبد الله معاملته وكاد أن يقتله راجع الإحاطة بأخبار غرناطة م٣، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة سنة ١٩٧٥م ص٣٣١ وما بعدها.

(١٣٦) ألمرية (Almaria): مدينة أندلسية تقع على ساحل البحر المتوسط من أهم ثغور المسلمين، الجنوبية محدثة في العصر الأموي، اهتم بها الناصر وبنى فيها العديد من المنشآت سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م وصارت مرسى الأندلس الأول وأعمرها وأجلها وأشهرها في الأندلس، وصارت قاعدة لمملكة مستقلة، في عصر ملوك الطوائف لملوك من الصقالبة، وسقطت في أيدي النصارى سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م ومازالت المدينة تحتفظ بجزء من طابعها الإسلامي وتشبه في ذلك إشبيلية وغرناطة راجع عن المدينة قديما

يذكره ابن الأبار[١٣٧]عن القاضى أبى القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد مؤسس الملك العبادى بإشبيلية المتوفي ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م "واقبل يضم الأحرار من كل صنف ويشترى العبيد والحد يساعده والأمور تنقاد له إلى أن ساوى ملوك الطوائف وزاد على أكثرهم بكثافة بكثافة سلطانه وكثرة غلمانه". ولا شك أن علاقة المرابطين والموحدين ببلاد السودان الغربي قد أكثر من أعداد أولئك السودان في الأندلس وبالذات المرابطين والذين كثرت حروبهم مع أهل السودان جهاداً في سبيل نشر الإسلام فأخذوا العديد من الأسرى، فضلاً عما اشتروه من أسواق النخاسة آنذاك والتي امتلأت بأولئك العبيد السودانيين والمثل الأوضح في هذا السبيل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين (٤٨٠-٥٠٠هـ/ ١٠٧٨-١١٠٦م) لما استفحل ملكه وقوى سلطانه طعم بهم جيشه وأكثر من أعدادهم وكون منهم فرقاً قوية كبيرة العدد ساعدته كثيراً في حروبه الجهادية ببلاد الأندلس[١٣٨]. ولم يقتصر أبناؤه على هذه الفرق فقط نظراً لعلاقتهم ببلاد السودان وغانة بالذات واستخدام طرق أخرى للزيادة من هؤلاء العبيد الأجناد مثلما فعل الأمير على بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٨هـ/ ١١٠٦-١١٤٢م) إلى تقسيط عدد الجند السودان الواجب على كل مدينة مغربية أن تقدمه للدولة وتحمل نفقات تجهيزه بالسلاح والمال وذلك بغية التصدي للمد الأسباني المتصاعد بالأندلس، فكان قسط أهل فاس مثلاً ثلاثمائة غلام من سودانهم برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم أخرجوا ذلك

وحديثا، الحميرى: الروض ص٥٣٧، الرشاطي: المصدر السابق ص٥٩-٦٠، عنان: الآثار ص٢٦٥-٢٧٠.

(٤) الحلة السيراء، ج٢، ص٣٨.

(١٣٨) راجع ما سيأتي ص ١٢٤-١٢٥من البحث.

من أموالهم[١٣٩]. ويؤكد لنا ابن عبدون[١٤٠] في رسالته تواجد أولئك الحشم من العبيد السودان ويسميهم السودان البربرى وعبيد البربر أو عبيد المرابطين وقد قام بالاحتساب على أولئك العبيد والحشم بألايتلثموا مثل المرابطين لأنهم بذلك يغيرون أشكالهم ويخلطون على الناس معرفة الشريف من غيرة والسيد من العبيد وكل ذلك داعياً إلى الفساد، وإذا كان لابد من التلثم من جانب عبيد المرابطين يجب في ذلك أن يميزوا بعلامة يعرفون بها كأن يكون بدلاً من السلاح ــ طالما أنهم يختلطون بالناس ــ اسواطاً لدوابهم أو رمحاً صغير وهو المعروف باسم القزل[١٤١].

أما في العصر الموحدى فقد تم استعمال السودان كجند في الجيوش منذ عهد يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ/ ١١٦٣-١١٨٤م)[١٤٢]، حيث شكلوا فرقة عسكرية مستقلة ضمن القوات الموحدية المجاهدة في المغرب والأندلس[١٤٣]، فضلاً عن مشاركاتهم في حراسة الخلفاء الموحدين[١٤٤] والعروض العسكرية أو

(١٣٩) راجع أبا الحسن محمد بن حسن بن على المعروف بابن القطان المراكشي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود على مكي، دار المغرب الإسلامي، سنة ١٩٩٠، ط١، ص١٥٢.

(١٤٠) راجع رسالته في الحسبة والقضاء ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، سنة ١٩٥٥م، ج٩، ص٢٩.

(١٤١) المصدر السابق، ص٢٨.

(١٤٢) عز الدين موسى: الموحدون في المغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم ،دار المغرب الإسلامي، بيروت، سنة ١٩٩١م، ص٢٣٠.

(١٤٣) راجع ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص٣٦١، ٤٠٣.

(١٤٤) راجع عبد الإلاه بنمليح: الاسترقاق في الغرب الإسلامي ص١٢٩.

ما يسمى بالتمييز والعرض[١٤٥]، وكذلك حضور المناسبات المختلفة[١٤٦]. وقد لوحظ ازدياد أعدادهم في أيام الناصرلدين الله الموحدي (٥٩٥-٦١٠هـ/ ١١٩٩-١٢١٣م) ومشاركتهم الفعالة معه مع حروبه الجهادية ضد النصارى مع الأندلس[١٤٧].

ومن عجيب ما قرأت عن أولئك السودان المحاربين أن لهم بخارج مدينة غرناطة رباطاً عرف برباط السودان كان يؤمه الصالحون والفقراء المتجردون والعباد وغيرهم[١٤٨]، ألا يدل ذلك على كثرتهم كجند محارب ومجاهدين في الأندلس.

٤-المولدون:-

وهم ذرية من أسلموا من أهل الذمة بعد دخول المسلمين الأندلس وبعضهم إلتحق بخدمة الأمراء والخلفاء الأمويين بالأندلس وبعضهم وصلوا إلى مكانة مرموقة في المجتمع الأندلسي بحيث كانوا من حشم الأمراء والخلفاء وخاصتهم وبعضهم سلك طريق الجندية في الجيوش الأندلسية في ظل بني أمية قبل أن ترتقى حاله ويتولى المناصب أويكون لهم شأن مذكور وأشهرمن ذكرتهم لنا المصادرعلى الإطلاق هوالثائر في عهد الأميرعبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) وهوعبد الرحمن بن مروان الجليقي والمذكور صراحة في المصادر أنه كان قبل ثورته بقرب الأندلس من حشم السلطان[١٤٩].

---

(١٤٥) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص٣٤٣.

(١٤٦) المصدر السابق، ص٣٤٣.

(١٤٧) راجع ما سيأتي ص ١٣٠-١٣١من البحث.

(١٤٨) راجع ابن الخطيب: الإحاطة، ج٤، ص٤٢٧.

(١٤٩) ابن القوطية: تاريخ ص١٠٠.

هذه هي إذاً العناصر المكونة للحشم في الأندلس من خلال إشارات وأخبار ذات دلالة واضحة وألفاظ معبرة تنبأ بهذه الأصول العرقية مباشرة أواستقراء لألفاظها لا كما يذكر بعض المحدثين (١٥٠) من أنه "لايوجد ما يشيرإلى أصل لهؤلاء الحشم"

أعداد الحشم

لاشك أن الحاجة إلى الحشم الحربي في مهام عسكرية متعددة كما سنرى قد دفعت حكام الأندلس في الفترة موضوع الدراسة إلى زيادة أعداد الحشم الحربي باستمرار، وذلك بعد أن أثبتت التجارب لأولئك الحكام إخلاص أولئك الأحشام وولائهم التام لهم وخاصة أن الحشم المختارين كانوا في غالب أحوالهم من العبيد والرقيق المجلوبين الذين يعيشون في كنف الحكام ويربون على خيراتهم ويدخلون الإسلام على أيديهم فيصير الامتنان لمواليهم كبيراً والولاء والإخلاص شديدين ويضربون مع أسيادهم بمرور الأيام بنصيب في العصبية(١٥١) وتكون عندهم حمية كبيرة لأولئك الحكام مما يضمن قوة وبقاء الطرفين معاً، والحكام من جانبهم في الغالب كانوا يحسنون إلى أولئك الأجناد من الحشم وينالون عندهم الخطوه خاصة عندما يرى الحكام ترجمة عملية

(١٥٠) عبد الواحد ذا النون طه: تنظيمات الجيش في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس في العصر الأموي، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، المجلد السابع عشر، العد الأول، سنة ١٩٨٨م، ص١٠.

(١٥١) ابن خلدون: المقدمة ج٢ ص٤٩٠ حيث يتحدث في فصل كامل عن هذا الموضوع وعنوانه "فإذا اصطنع أهل العصبية قوماً من غير نسبهم واسترقوا العبدان والموالي والتحموا بهم ضرب معهم أولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية مساهمة في نسبها.

لإخلاص أولئك الأحشام في الأزمات والحروب، ولنا المثل في ذلك بموقف وشهادة الحكم الربضي مع حشمه الذين وقفوا معه بكل جدية في ثورة أهل الربض الجنوبي وأهل قرطبة بعدها أقبل الحكم على عتقهم جميعاً[١٥٢] وقال ذاكراً فضائلهم على الحكام "ما استعدت الملوك بمثل الرجال وما حامى عنها مثل عبيدها ولا فزعت في شدتها إلى أحضر نفعاً منها.."[١٥٣] ومن هنا اندفع حكام الأندلس بعد أن فسدت عصبيات النسب إلى الاعتماد على هؤلاء الأحشام مكونين عصبيات منهم تدين لهم وفقط بالولاء والطاعة يصولون بهم ويجولون وبهم يحفظون عروشهم ويديرون دولتهم وإذا صح ما أورده المقري[١٥٤] عن حشم الأمير عبد الرحمن بن معاوية وعبيده قد بلغوا أربعين ألفاً فلا يمكن أن يقل هذا العدد في عصور خلفائه الذين شارك كل منهم في تقوية هذه العصبية بإضافة أعداد جديدة من هؤلاء الأحشام خلال مدة حكمه ومن ثم وجدنا الأعداد الكبيرة لهؤلاء الأحشام في الجيوش الأندلسية كفرق وكتائب وعرافات[١٥٥]. والمثل الأوضح عندنا في ذلك عنصر الصقالبة أوالرقيق الأبيض الذين وصلت أعدادهم خلال العصر الأموي في القصر والخارج آلافاً مؤلفة، وقد كان أول من استكثر منهم الحكم الربضي نتيجة لما تعرض له من ثورات هزته هزاً عنيفاً ودفعته دفعاً إلى الاهتمام بالجيش وتقويته عدة وعتاداً لكي يكون قادراً على مواجهة هذه الثورات، فلم يكتف بالمائة والثلاثين من المماليك الذين تركهم له أبوه من فئ

(١٥٢) ابن حيان: السفر الثاني ص١٥٥.

(١٥٣) ابن حيان: المصدر السابق، ص١٥٥.

(١٥٤) نفح ح٣ ص٣٧.

(١٥٥) راجع سياتي ص ٦٠ وما بعدها من البحث.

أربونه[١٥٦]، بل انهمك في شراء الصقالبة حتى ارتبط على بابه منهم ما يـوازي ألف على ما يذكر ابن عذارى[١٥٧] أو ألفين على ما يـذكر صـاحب الأخبـار المجموعة[١٥٨] كانوا مرابطين على النهر بأزاء القصر، وذكر آخـرون[١٥٩] أن عدة هؤلاء الحشم الحربي الذين أعدهم الحكم كانوا زهاء خمسة آلاف مـرتبطن ببابه، وأرجح أن هذا الرقم هو الأصح وذلك لأنـه كـان مـنهم الرجالـة والفرسان وما ذكره ابن عذارى وصاحب الأخبار[١٦٠] من الفرسان فقط، علـى كل حال لم يكن هؤلاء المماليك كل ما ترك الحكم بل كان يطعمهم باسـتمرار حتى ليقال أنه ترك خمسة آلاف مملوك آخرين أقدم على عتقهم جميعاً خليفتـه عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م)[١٦١]، كما اعتق أبـوه كـل مماليكه السابقين بعد فراغه من حرب أهل قرطبة ووالى الإحسان إليهم وصيرهم له بطانة دون سواهم[١٦٢] والواقع أن عبد الرحمن الأوسط وبنيه قد اهتموا بأمر الحشم من الصقالبة وغيرهم وساروا على سنة الحكم في الاستزادة منهم خاصة في ظل ظروف الفتنة التي تعرضوا لها وكثرة الثائرين عليهم بعد وفـاة عبـد الرحمن الأوسط، وندلل على ذلك بإحدى غزوات الأمير عبد الله للثائرعمر بـن

(١٥٦) ابن حيان: السفر الثاني ص٢٩٧.

(١٥٧) البيان ج٢ ص٧٩.

(١٥٨) ص١١٧، راجع كذلك المقري: نفح ج١ ص٣٤٢.

(١٥٩) راجع ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٦٦، النويري: نهاية ج٣، ص٣٧٤، ابن خلدون العبر م٤ ص١٥٣.

(١٦٠) ابن عذارى: المصدر السابق ، مجهول: المصدر السابق.

(١٦١) ابن حيان: المصدر السابق.

(١٦٢) ابن حيان: المصدر السابق ص١٥٤.

حفصون، حيث خرج بأربعة عشر ألفاً من الأجناد كان منهم فقط أربعة آلاف من حشمه ومواليه[١٦٣].

وفي عصر الاستقرار والقوة اهتم أيضا خلفاء بنى أمية بالحشم الحربي من الصقالبة وغيرهم وتحسباً للظروف وإظهارأبهة الدولة فقد أقبل الناصرلدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) وأخذ ذلك مأخذ الجد يقول ابن حيان[١٦٤] "نظر الناصر سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م في أحشامه وزاد في إلحاق العرفاء منهم وطبقات الحشم ووفارة أعدادهم" وذلك رغم توافرهم قبل ذلك وكثرة أعدادهم، إذ أرسل الناصر منهم سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م إلى الأسطول الذاهب إلى بلاد المغرب ألفين[١٦٥]، إلا أن اهتمامه بهم من أجل حفظ الدولة اظهارعظمتها دفعته إلى الاستزادة منهم فصاروا بأعداد كبيرة داخل القصر وخارجه أما الصقالبة منهم فيذكر ابن عذارى[١٦٦] وابن الخطيب[١٦٧] أنهم كانوا ٣٧٥٠ صقلبى في حين يذكر صاحب وصف قرطبة[١٦٨] أن عددهم ٦٧٨٦ فتى محدداً الخصيان منهم فقط ٣٩٥٠خصياً، في حين جمعهم المقري في النفح[١٦٩] بـ ١٣٧٥٠ فتى

(١٦٣) راجع ابن حيان: المقتبس ت إسماعيل العربي ص١٢٧، النويري: نهاية الأرب ج٢٣ ص٣٩٥.

(١٦٤) ابن حيان: المقتبس ت شالميتا ص٣٥٦.

(١٦٥) ابن حيان: المقتبس ت شالميتا ص٣١٢-٣١٣.

(١٦٦) البيان ج٢ ص٢٣٢.

(١٦٧) تاريخ ص٤١.

(١٦٨) مجهول: الخبر عن مدينة قرطبة ومحاسنها، نشر وتحقيق الدكتور حسين مؤنس تحت عنوان وصف جديد لقرطبة الإسلامية مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٦٥-١٩٦٦، ص١٧٠.

(١٦٩) ج١ ص٥٦٧.

ويرجح في الأزهار[١٧٠] بعد قراءاته لبعض الدواوين أن عددهم يتراوح بين ٣٧٥٠ و٣٧٨٧ فتى وهؤلاء جزء من حشم الناصر لدين الله متعددي الأصناف والأجناس والذين عددهم النويرى[١٧١] ووصفهم "بأهل الخدمة من الذين يركبون بركوب الناصر وينزلون لنزوله باثنى عشر ألفاً"، ولو أخذنا بنظام العرافة الذي أخذ به الحكم الربضى بالنسبة لأجناد الحشم حيث كانت كل عرافه تحتوى مائة من فرسان الحشم عليهم عريفاً[١٧٢] فإن الناصر لما أراد أن يؤمن طريق بعثه إلى ابن مسلمه الحجاجي في رجوعه إلى قرمونة من أجل الصلح أرسل معهم بناء على طلب الوسيط في الصلح محمد بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية، نقول أرسل معهم خمسين من العرفاء وذلك بعد إعلان الإنذار في الحشم للاستعداد[١٧٣] وبحسبة بسيطة فهؤلاء يعدون بخمسة آلاف فقط من المرتبطين والمكتنفين للقصر الخلافي فما بالنا بغيرهم من الأحشام بقرطبة وغيرها من عواصم الكور وقواعدها.

وهذا ينم عن الأعداد الكبيرة جداً من الحشم التي كونها الناصر لدين الله ومن بعده ابنه الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) ويحار المرء إذا نظر إلى الاحتفالات في المناسبات العامة واستقبال الرسل والسفراء وما بها من نظام تشغل فيه فرق الحشم العسكرية حيزا كبيرا كحرس خاص وفرق عرض تظهر القوة والأبهة وهي شاكة في سلاحها وفي أبهى حللها، هذا

(١٧٠) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج٢، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٤٠م، ص٢٦٩.

(١٧١) نهاية ،ج٢٣ ص٣٦٨.

(١٧٢) راجع أخبار مجموعة ،ص١١٨، ابن عذارى: البيان، ج٢ ص٧٩.

(١٧٣) ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا ص٧٦.

بالإضافة إلى استمرار تطعيم الحكم المستنصر لفرق الحشم، كل ذلك يقطع بأن أعداد الحشم الحربي حول خلفاء بنى أمية أكبر من هذه الأعداد بكثير، هـذا إذا أضفنا بأنه لا توجد أيه معلومات من أولئك الحشم الذين رتبهم حكام بنى أمية في المدن المختلفة يتأكد لنا ضخامة الأعداد الحشمية في الجيش الأموي والذين كان حشم العاصمة جزءاً منهم، وقد تعددت الإشارات فـي المـصادر عـن أولئـك الأحشام في الأقاليم مع حكامها والقادة والعسكريين وذلك من أجل حفظ الأمـن وحراسة المدن وتأديب الثوار كما سنرى[١٧٤]، فطالما تردد كثيـراً لفـظ حـشم السلطان للتفرقة بينهم وبين حشم الأقاليم ولكي لا يكون الحديث انشائياً فقط نذكر في ذلك ما يقال عن فهربن أسد وهو أحد الثوار في الفتنة الأولى أنه كـان مـن الحشم في مصاف السلطان بقرطبة[١٧٥]. أو يقال "حشم السلطان الذين بعثهم من قرطبة[١٧٦]" في تفرقة واضحة بين حشم العاصمة وغيرهم من حشم الأقاليم الذين يتركهم الأمراء والخلفاء مع ولاتها مثلما ترك الناصرلدين الله في مورور[١٧٧] ـــ

(١٧٤) راجع ما سيأتي ص ١٠٦-١٠٩ من البحث .

(١٧٥) كان أسد هذا قد سما إلى الفتنة بعد اندلاعها في الأندلس وكان لـه أخ مـرتهن عنـد السلطان فقتل أسد متوليه وهرب هو وأخيه إلى حصن نشى بغرب الأندلس وظل به حتى وقع في خلاف مع المنتزي بكورة باغة سعيد بن وليد بن مستنة فأخذه أسيراً ثم تقرب بـه إلى الأمير عبد الله، فصلب أمام باب العدل من أبواب قصر قرطبة راجع: ابـن حيـان: المقتبس، ت العربي ص٤٦. ابن حيان: المصدر السابق.

(١٧٦) ابن حيان: المصدر السابق ت شالميتا ص٧٢، ٩٠.

(١٧٧) مورور (Maron) :كورة بالأندلس تتصل بأعمال قرمونة بينها وبين قرطبة عـشرين فرسخاً، كثيرة الخيرات من طيب الفواكة والزيتون ولها فضائل كثيرة راجع: ابن غالـب: فرحة ص٢٤، ياقوت: معجم، ج٥، ص٢٢٢، الحميري: الروض ص٥٦٤-٥٦٥.

بعد افتتاحها عنوة الحشم لشد قصبتها[١٧٨] ولما ولى عبيد الله بن العاص مالقة "ألزم معه كتيبة من الحشم"[١٧٩] وهكذا فعل المرابطون وإن كنا سنضرب مثلاً عن مدينة مغربية إلا أن فيه دلالة على نظام ثابت معمول به في عهدهم إذ يذكر ابن عذارى[١٨٠] أنه لما حاصر الموحدون مدينة مكناسة ستة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م كان فيها نحو ثلاثة آلاف من الحشم والروم وغيرهم زد على كل ذلك أن ولاة المدن والأقاليم كان لهم أحشامهم الخاصين به يلفون حوله ويأتمرون بأمره يقضون حوائجهم ويحرسونه كذلك[١٨١]، على كل حال فإن الأعداد المتمركزة في العاصمة قرطبة وبالذات من الصقالبة وقفت حجرة عثرة أمام محمد بن أبى عامر من أجل الاستبداد على الخليفة هشام المؤيد الاستئثار بالحكم ولهذا بذل مجهوداً كبيراً وادار خططاً متعددة من أجل فل وتشتيت هذه الجموع التي تدين بولائها للبيت الأموي مستعيناً أولاً بالحاجب جعفر بن عثمان المصحفي للقضاء على رؤسائهم المتحكمون في القصروكانوا ينيفون على الألف[١٨٢]، يظنون أنه لا غالب لهم وأن الملك بأيديهم[١٨٣] أو كانوا كما وصفهم ابن الخطيب[١٨٤] "المستأثرون بما خلف حجاب القصر وعلى رأسهم الأكابر الذين يزيدون عن العشرين والذين تتبعهم جميعاً طوائف عديدة من الحجرية ـ

(١٧٨) ابن حيان: المصدر السابق، ص١٨٦.

(١٧٩) المصدر السابق، ص٢١٠-٢١١.

(١٨٠) ابن عذارى: البيان قسم الموحدين ص٢٤.

(١٨١) القاضي عياض وولده محمد: مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تحقيق محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة ١٩٩٠م، ص٤٢.

(١٨٢) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٥٩.

(١٨٣) نفسه.

(١٨٤) تاريخ، ص٦٠.

أي داخل القصر ــ والفحول خارجه. وفعلاً ما إن أنهى ابن أبـــى عـــامر علـــى هؤلاء الرؤساء الأكابر والمسمون أيضا بالخلفاء حتى سهل عليه تـــشتيت بقيـــة الأجناد من الصقالبة خارج القصر. والذين تجمع أغلبهم بعد ذلـــك فـــي شـــرق الأندلس وهم الذين قال عنهم ابن بسام(١٨٥) وعن غيرهم من الصقالبة الذين تركوا قرطبة أثناء الفتنة وبعد سقوط الخلافة "لجأ كثيرمن موالي المسلمين من أجنـــاس الصقلب والإفرنجة البشكنس... وعشيرتهم وزهدوا في الأحرار وأبنـــائهم فمـــن طرأ عليهم فلم يواسوهم".

ومع أنه لم تأتنا معلومات عن أعداد أولئـــك الأحـــشام فـــي عهـــد دول الطوائف إلا أنهم على قدر طاقاتهم تشبهوا في تجميع فرقاً كبيرة مـــنهم ومـــن السودان خاصة ظهرت أدوارها جلية في الأحداث بين ملوك الطوائف ولكن في العصر المرابطي ذكرت بعض الأرقام التي تدل على حرص الحكام على الكثرة من هؤلاء الأجناد من الحشم من ذلك ما يذكر عن يوسف بن تاشفين أنه اجتمـــع له من الحشم "ثلاثة آلاف من الفرسان(١٨٦)" وذلك في أول عهده وبداية تكـــوين حشمه الذين وضع نواتهم بـــ ٢٤٠ فارس من أعـــلاج الأنـــدلس و٢٠٠٠ مـــن العبيد(١٨٧)، ولما استفحل ملكه وعظم سلطانه وقرر الجهاد ضد نصارى الـــشمال

(١٨٥) الذخيرة، ق٣، م١، ص١٦.

(١٨٦) مجهول: الحلل الموشية، ص٢٢٢.

(١٨٧) ابن عذارى: البيان، ج٤، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيـــروت، ســـنة ١٩٨٣، ط٣، ص٢٣.

في الأندلس زاد من هذه الأعداد الحشمية وصارت لديه فرقاً متعددة اشترك معه في الزلاقة منها فرقة مكونة من أربعة آلاف من حشمه السودان(١٨٨).

ولاشك من أن الموحدين الذين اهتموا بالجيش ترتيباً وتنظيماً وإعـداداً وعرضاً قد اهتموا بهؤلاء الحشم قبل أن يستعينوا بالنصارى من المرتزقة، وما تواجد لديهم من السودان ــ كما رأينا ــ يثبت ذلك فالأعداد الحشمية كبيرة جـداً ويكفى أن نذكر أنه دافع عن الناصر الموحـدى (٥٩٥-٦١٠هـ/ ١١٩٩-١٢١١م) في موقعة العقاب عشرة آلاف من العبيد من حشمه(١٨٩). ليتأكد لـدينا كثرة أعداد الحشم في عصر الموحدين.

والخلاصة أن أعداد أجناد الحشم كانت كثيرة لم يحصها مصدر ولم يحط بها أحد من المؤرخين المعاصرين للأحداث ولا من بعدهم وذلك لكثـرتهم مـن ناحية وتفرقهم في الجيش الأندلسي المنتشر في كل الأندلس وما أتانا من أعـداد فهي نذر يسير تأتي عرضاً مع الأحداث التاريخية التي اهتم مدونوها بالأحـداث التي تتعلق بالحاكم وعاصمته دون غيره وفي الغالب لم يعيروا اهتماماً بالأعداد المقاتلة إلاعند الضرورة أو الميل لإظهار قوة الجيش الإسلامي المقاتـل ولـم يفرق ــ إلا فيما ندر ــ بين الأصناف التي يضمها هذا الجيش وإذا فعل لا يأتي بأعداد، كل هذا يجعلنا نقررأن ما وصلنا من أعداد عن أجناد الحشم ما هي إلا مؤشرات دلتنا فقط على كثرة أولئك الأحشام دون القطع بالعدد الإجمالي لهم في أي عصر من العصور، كما دلتنا الألفاظ التي استعملها قدامي المؤرخين للدلالة

(١٨٨) ابن عذارى: المصدر السابق، ص١١٧ أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكـر بـن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل الزمان، ج٧، تحقيق إحسان عباس، دار صـادر، بيروت، سنة ١٩٩٠-١٩٩٤م، ص١١٨.

(١٨٩) ابن أبى زرع: الأنيس، ص٣١٥.

على كثرة أعدادهم مثل: "جمهور الحشم"(١٩٠) "كثفاً من الحشم"(١٩١)، "كثيف من الحشم"(١٩٢) "ندباً كثيفاً من الحشم"(١٩٣) "طائفة من الحشم"(١٩٤)، "قطيع من الحشم"(١٩٥)، عدة من الحشم"(١٩٦)، "وحشداً من الحشم"(١٩٧) "وجملة من الحشم"(١٩٨) وهكذا. مع الأخذ في الإعتبار استخدام اللفظ في مناسبة واحدة ومكان واحد فقط. دون غيرها من المناسبات والأمكنة.

تهيئة أجناد الحشم وتنظيمهم عسكرياً

إن مقولة الحكم الربضى عن الاستعداد بالرجال المخلصين للدولة(١٩٩) لتؤكد أن الحكام بذلوا الكثير من أجل إعداد أجناد الحشم وتهيئتهم من أجل الإشتراك في النظام العسكري العام للجيش الأندلسي والذي بذل فيه الأمويون جهداً كبيراً من أجل تقويته ويكفى أن نذكرأن الناصر لدين الله جعل ثلث ما يتحصل من أموال للجيش خاصة عتاداً وعدة(٢٠٠) ولهذا لا نبالغ إذا قلنا أن الأمويين بذلوا الكثير من أجل شراء العبيد والرقيق أو حتى اصطناع الأحرار

(١٩٠) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص٢٢٣.

(١٩١) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص١٩٠، ابن حيان: المقتبس ت شالميتا، ص٢٠٢.

(١٩٢) ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص٢٣٩.

(١٩٣) المصدر السابق، ص٩١.

(١٩٤) المصدر السابق، ص١٤٨، ١٥٥.

(١٩٥) المصدر السابق، ص٢٠١، ٤٨٦، ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٠٠.

(١٩٦) المصدر السابق، ص٢٤٧.

(١٩٧) المصدر السابق، ص٣٤٧.

(١٩٨) ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٩٤، ٢٠٥.

(١٩٩) راجع هذه المقولة ص ٤٤ من البحث.

(٢٠٠) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٣١.

من الرجال[٢٠١] وبغية الوصول إلى العدد المطلوب تجهيزه في ذهن الحاكم من أجل تأمين نفسه وأسرته ودولته فاشتروا العبيد والرقيق وانظر مااستخدمه الكتاب من ألفاظ في هذا السبيل فيقولون "ثم وضع الداخل ــ أي عبد الرحمن بن معاوية ــ الشراء في المماليك واللحق"[٢٠٢] وعن الحاكم الربضى "وأنهمك في إشتراء العبيد المماليك ولاستكثار فيهم والانتحال لهم"[٢٠٣] وهو الذي أنفق الكثيرفي سبيل "استضمام الرجال وإكثاف الجند وابتياع العبيد"[٢٠٤]، ومن بعد الشراء ينفق الحكام من أجل إعداد الحشم حربيا إذ أنهم ــ أي أولئك الأحشام ــ عند شرائهم لا يملكون ما يتجهزون به من أسلحة وخيول ومسكن وملابس حربية[٢٠٥] فضلاً عن الطعام وفوق هذا كله رزق هؤلاء الحشم حتى يتعيشوا، ولذا صار من

(٢٠١) ابن حيان: المقتبس، ت الحجى، ص١١٨.

(٢٠٢) مجهول: أخبار مجموعة، ص٩٨.

(٢٠٣) ابن حيان: السفر الثاني، ص١٦٥.

(٢٠٤) المصدر السابق، ص١٢٦.

(٢٠٥) إذ كان للحشم في الغرب الإسلامي ملابس معروفون بها عن غيرهم ولكنها كانت تختلف من دولة إلى أخرى ولها نظام معين يتسق والحالة المادية للدولة، فيفيدنا نص عند الدرجينى أن حشم السلطان في المغرب كان له لباس خاص وذلك تعليقاً على أحد زملاء الدراسة كان قد ترك العلم والتحق بخدمة السلطان فلبس الكساء الحشمي إذ كان في رجليه قرق قلعي وعلى رأسه شاشية حمراء وفي يده مزراق يرفعه ويضعه، راجع الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، ج٢، تحقيق إبراهيم طلاي، دار الفكر العربي، بيروت، سنة ١٩٧٤م، ص٣٨٨. ولكن في الأندلس خلال قرون البحث حرص الحكام وبالذات من بنى أمية على تمييز حشمهم بملابس معروفه يحافظون عليها ظهرت جلية واضحة في احتفالاتهم ومناسباتهم ويعاقب من يخالف ذلك من الحشم راجع ما سيأتي ص ٦٥من البحث.

الواجب على الحاكم وهو سيدهم التكفل بهذه النواحي لتجهيزهم وتنظيمهم عسكرياً من أجل الاستعداد التام للحرب والقتال.

أما من ناحية المسكن فلم يترك الحكام هؤلاء الحشم يختلطون في المساكن بالعوام حتى لا تفسد العلاقة بين الطرفين فضلاً عن فقدان الانضباط العسكري الدقيق، ومن هنا كانت سكناهم في مناطق بعينها بجوار القصور أو داخل أسوارها وفي ذلك يذكر أن الحكم الربضى "ألزمهم السكني على باب قصره في حجر اتخذوها لهم"(٢٠٦) ويذكر عن الناصرلدين الله أنه لما ابتنى مدينة الزهراء جعل ثلث المدينة دوراً لأهل الخدمة وهم من الحشم الحربي وكانوا اثني عشر ألفاً يتبعونه في حله وترحاله.(٢٠٧) ولاشك أن الحكام وفروا لأولئك الأحشام الطعام اليومي وما يذكر عن الطعام المرتب لصقالبة الناصر لدين الله(٢٠٨) والمنصور بن أبى عامر فيه الكفاية للتدليل على ذلك.(٢٠٩) ولكن المهم عندنا الآن هو الاهتمام بأولئك الأحشام على المستوى الحربي من حيث توفير العدة والعتاد فضلاًعن التدريب وهو ما بذل فيه الحكام أيضا أموالاً طائلة فالحكم الربضى أنفق الأموال الكثيرة في "تمرينهم على ركوب الخيل والعمل بالسلاح"(٢١٠) ولاشك أن فرسان الرياضة المذكورين في عهد الحكم الربضى والذي كان يلعب

(٢٠٦) ابن حيان: السفر الثاني، ص١٦٥، ص٢٩٧.

(٢٠٧) النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٩٨.

(٢٠٨) كان لهم في اليوم ١٣,٠٠٠ رطل غير الحوت والطير. راجع المقرى، نفح، ج١، ص٥٦٧.

(٢٠٩) ابن الخطيب: تاريخ، ص١٠٢، حيث يذكر أن جاري للحم على صقالبته على طبقاتهم في الشهر وقسط المياومه سبعة وعشرين ألف رطل.

(٢١٠) ابن حيان: المصدر السابق، ص١٦٥.

معهم في الحائر من القصر[٢١١] هم هم فرسان الرياضة المذكورين من عهد حفيده الحكم المستنصر والذين حضروا الاحتفالات العامة كجزء من إظهار أبهة الدولة[٢١٢] واعتقد أنهم كانوا هم المسئولون عن تدريب هذه القوات الحشمية على ركوب الخيل واستخدام السلاح وما إليه من فنون الحرب والقتال. وكان من مستلزمات الإنفاق على أولئك الأحشام المنوطة بالحاكم هو تجهيزهم بالأسلحة المختلفة سواء كانت الدفاعية أو الهجومية[٢١٣] ومن هنا كانت خزينة السلاح التي تمد الجيش بما يحتاجه من أسلحة وبالذات من الحشم غيرالأجناد من العرب من الكور المجندة[٢١٤] ومن ثم كان لهذه الخزينة أهميتها فصارت خطة يتولاها أحد أشخاص الدولة المرموقين[٢١٥] كان هو وما تنتجه خزانة السلاح في خدمة أجناد الحشم. وإذا كان بعض أجناد الحشم قاتلوا راجلين في جيوش الأندلس إذ يذكرأن من حشم الحكم الربضى ألفين من الرجالة[٢١٦] فإن غالبية هؤلاء الحشم كانوا من الفرسان، وخاصة أولئك الذي كانوا في الطوالع الحربية إلى الجهات المختلفة بعيداً عن العاصمة أو أولئك المتجهون إلى الجهاد في سبيل الله وهؤلاء وأولئك كانوا يحتاجون ــ غير السلاح ــ إلى الخيول المعدة ومن هنا كان اهتمام الحكام

---

(٢١١) أخبار مجموعة، ص١١٨.

(٢١٢) ابن حيان: المقتبس ت الحجى، ص٥١، ١٥٦، ١٩٩.

(٢١٣) عن هذه الأسلحة راجع بروفنسال: تاريخ أسبانيا م٢، ج١، ص٩٤-٩٦.

(٢١٤) راجع ابن الخطيب: تاريخ ص١٠٢-١٠٣، بروفنسال: المرجع السابق، ص٩٦. ومما يدخل هذه الخزانة من سلاح راجع ابن الخطيب: المصدر السابق، ص١٠١.

(٢١٥) اشهرمن تولاها لبنى أمية محمد بن عبد الله الخروبي وحسن بن أحمد الكاتب وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الرءوف في عهد الناصرلدين الله راجع ابن عذارى: البيان ج٢، ص١٥٩، ١٩٣.

(٢١٦) ابن حيان: السفرالثاني، ص٢٩٧.

بالأمر فنجد الحكم الربضى الذي استكثر من فرسان الحشم يقيم اصطبلات لهذه الخيول قريبة من القصرعلى نهر قرطبة مقسمة إلى دور استوعبت خيولاً لثلاثة آلاف فارس كانوا مرتبطين ببابه(٢١٧) ويذكر صاحب أخبار مجموعة(٢١٨) أن هذه الاصطبلات قسمت على دارين لكل منها عرفاء يشرفون عليها ويتابعون العناية بالخيل وينظرون في تعويض ما تعذر منه لسبب أو لآخر. ولم يتوان خلفاء بنى أمية عن إمداد هذه الاصطبلات بالخيل باستمرار وذلك من حظائر الخيل المنتشرة في إشبيلية ولبلة(٢١٩) لتربية الخيول وتناسلها، والتي كان يصل منها باستمرار الخيول إلى العاصمة فيذكر أن الخليفة المستنصر بالله استقبل في مدينة الزهراء "المهار الغلاء المستنتجة في هاتين الكورتين بعدد وافر وصفات أعجبت الخليفة إعجاباً حمله على الجلوس لرؤيتها من خلال مجالسه المطلة على رياض الزهراء مع ابنه هشام وبين يديه الفتي الكبير فائق صاحب البرد والطرازوصاحب الخيل والحشم زياد بنى أفلح مولاه،(٢٢٠) وقد ورث هذا الاهتمام من بعدهم المنصور بن أبى عامر الذي آلي على نفسه توفير الخيول لجميع قواته وحرص ألا يحارب أحد في غزواته راحلاً فقد كان شرائه من الخيل

---

(٢١٧) راجع ابن حيان: السفر الثاني، ص١٦٥، ٢٩٧.

(٢١٨) المصدر السابق، ص١١٥.

(٢١٩) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص١١٧. ولبلة (Niebla): قصبة لكورة لبلة في غرب الأندلس وهي مدينة كبيرة قديمة بها آثار للأول تتصل أعمالها بعمل كورة أكشونية وهي كورة بحرية كثيرة الخيرات غزيرة الفضل والزرع والشجر والثماروقد استولى النصارى على مدينة لبلة التي عرفت كذلك بالحمراء سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م راجع ياقوت: معجم، ج٢، ص٣٠١، ج٥، ص١٠٠، عنان: الآثار، ص٣٩٠-٣٩٤.

(٢٢٠) ابن حيان: المصدر السابق.

في أعم السنين ثمانية آلاف فرس سوى ما يبتاع من البغال بأرض الأندلس[٢٢١] ولما احتاج للاستكثار من البغال اشترى في سبعة أيام متوالية ثلاثة آلاف رأس،[٢٢٢] هذا غير الرمك المستنتجة في مدائن إشبيلية على أجناسها وتعزل عندما تعلف وكانت نتاج ثلاثة آلاف فرس ومثلها من البغال[٢٢٣] وقد أوكل بنو أمية أمر هذه الخيل والإشراف عليها للمقربين من مواليهم تحت مسمى خطة الخيل الذي عرف متوليها بصاحب الخيل[٢٢٤] وقد لاحظنا في بعض المصادر أن صاحب الخيل مقرون ذكره ومرتبط بصاحب الحشم وذلك لتقارب مهام الاثنين واختصاصاتهما بالحشم وكثيراً ما كان يتولى أمر الحشم والخيل شخصية واحدة ويعرف بصاحب الخيل والحشم أو الناظر فيهما.[٢٢٥] وأخيراً وضع الحكام لأولئك الأحشام رزقاً معلوماً يتعيشوا به ففي بداية الدولة الأموية كان عبد الرحمن الداخل قد دونهم في الديوان وصاروا يقبضون من ديوان الجند.[٢٢٦] أما الحكم الربضى فقد أنزل الحشم جميعاً في "مراتب الإرتزاق بحسب الغناء وقدر الاستحقاق وأحسن إليهم وأقام همتهم"[٢٢٧] وقال عنه النويرى[٢٢٨] اتخذ المماليك

---

(٢٢١) ابن الخطيب: تاريخ أسبانيا، ص١٠٢.

(٢٢٢) نفسه.

(٢٢٣) المصدر السابق، ص١٠٠.

(٢٢٤) عن هذه الخطة ومن تولاها من بنى أمية راجع صلاح عيد: موالى بنى أمية، ص١٧٩-١٨٠.

(٢٢٥) راجع على سبيل المثال ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص١١٩، ١٣٦، ١٨٢، ١٨٤، ١٩٨، ٢١٠...الخ.

(٢٢٦) أخبار مجموعة، ص٩٨.

(٢٢٧) ابن حيان: المقتبس، السفر الثاني، ص١٦٥.

(٢٢٨) نهاية، ج٢٣، ص٣٧٤.

وجعلهم من المرتزقة، كما كان يأخذون عطاء عند الخروج إلى كل غزوة وكذلك في المناسبات فيذكرعن الأمير المنذر بن محمد (٢٧٣-٢٧٥هـ/ ٨٨٦-٨٨٨م) أنه في أول ولايته وكان في ريّة[٢٢٩] مع الجيش فولى عليها واليين وأدخل معهما أهل المعاقد والحشم وأعطى عطائين للجند،[٢٣٠] ونعتقد أن أحدهما للخروج معه والثاني للإقامة في ريّه. ويذكرعن ابن أبى عامر قد أعطى لكل من في ديوانه رزقاً وكان منهم حشمه من البربر والصقالبة والسودان كذلك[٢٣١] وإذا قلنا أنه سار تشبهاً بالعظام من بنى أمية في كل شيء فإن ما أتي من معلومات عن الارتزاق للجندي الفارس من الحشم وغيرهم في عهد المنصور فإن هذا الحشمى وغيره كان يفرض له علاوة على راتبه الشهري السلاح والسكن ومصاريف الطعام والعلف اللازم لركوبته أوما يسمى بالعلوفة[٢٣٢] وهو ما تحدثنا عنه سلفاً بالنسبة للحشمى في عصر الإمارة والخلافة حتى الحكم المستنصر.

---

(٢٢٩) رية: من كور الأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء تقع جنوب قرطبة كثيرة الخيرات لكثرة عيونها وأنهارها ولها سهل متسع ومدنها كثيرة ولها حصون حامية، وعاصمتها مدينة مالقة والتي حملت نفس الاسم فيما بعد وحتى العصر الحديث راجع ياقوت: معجم، ج٣، ص١١٦، الحميرى: الروض، ص٢٧٩-٢٨٠. ابن سعيد :المغرب، ج١، ص٤٢٣.

(٢٣٠) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص١٢٠، ابن الخطيب: تاريخ، ص٢٤.

(٢٣١) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٩٩.

(٢٣٢) راجع ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٩٩، بروفنسال: تاريخ، م٢، ج١، ص٩٢.

كما أعطى المرابطون لجميع أجنادهم في الأندلس بحيث لا يزيد عطاء الفارس عن خمسة دنانير للشهرمع نفقته وعلف فرسه ومن ظهرت نجدته منهم واعانته وشجاعته أكرموه بولاية موضع ينتفع بفوائده(٢٣٣) .

وفي ضوء هذه المعلومات يجب أن نقرر أن هذا الرزق المرتب لأولئك الحشم لا يدخلهم في عداد الجند المرتزقة الذين استعان بهم حكام المسلمين في الأندلس في العصور المتأخرة(٢٣٤) إذ الفرق بينهما كبير فالحشمى المرتزق هو من صنع الحاكم وتكوينه من بدايته حتى يصير جندياً بارعاً أو يظل يمارس الجندية، في حين كان المرتزق جاهزاً بمعداته الحربية طوع بنان من يدفع له من الحكام، كما أن الحشمى قريباً من الحاكم قرابة دين ونسب أومن المماليك والعبيد فإنه في النهاية مسلم بعكس المرتزق الذي كان في الغالب مسيحياً، لا ولاء عنده إلا للكسب المادي بعكس أولئك الحشم الذين كان ولاؤهم كما علمنا للحاكم المسلم ولدينه وعقيدته ولهذا ظهرت مواهبه ومجهوداته جلية واضحة في حروبه مع سيده وتفانيه من أجل مساعدة سيده في إقرارالأمن أوالجهاد في سبيل الله، وهذا ما يقرره ابن خلدون(٢٣٥) حيث يذكر أن حكام المسلمين يستخدمون الفرنجة

(٢٣٣) مجهول: الحلل الموشية، ص٦٧.

(٢٣٤) من هؤلاء الجند المرتزقة راجع د/ رضوان البارودي: عناصر المرتزقة في الجيوش المغربية منذ القرن السادس حتى القرن الثامن للهجرة، ندوة بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد / التاسع الهجري مصادره، اتحاد المؤرخين العرب، بالقاهرة، نوفمبر سنة ١٩٩٧م، ص٢٤٧ وما بعدها، مصطفى نشاط: الارتزاق المسيحي بالدولة المرينية، ضمن ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي، تنسيق محمد حمام، الرباط، سنة ١٩٩٥م، ص١١٧ وما بعدها.

(٢٣٥) المقدمة: ج٢، ص٦٨٢.

ـ أي المرتزقة ـ لأنهم أهل ثبات ولكن قرر أيضا أنه لا يمكنهم استخدامهم في الجهاد، فلا يستعينون بهم حذراً من ممالأتهم على المسلمين.

وقد خضع الحشم الحربي لنظام عسكري دقيق صارم وذلك من أجل ضمان استعدادهم الدائم عند النفير في أي وقت، ومن كان منهم يخالف هذا النظام سواء في مظهره أو جوهره من الإنضباط يعاقب في ذلك من رئيسه المباشر في هذا النظام ومن ذلك مخالفة أحد الغلمان في عهد الحكم المستنصر الذي وقعت عليه عين الخليفة وهو يركب فرس بسرج عدوى الصنعة ـ أي مغربي ـ لطيف دفتي المجلس قصير القربوس الراكب المقدم والمؤخر، فأنكر الخليفة ذلك انكاراً شديداً ولام حاجبه جعفر الصقلبي في غفلته عن ذلك وألزمه بإغلاظ عقاب العبد وإحراق السرج بدار الجند وذلك إشاعة لانكاره فنفذ ذلك لوقته،[٢٣٦] ولهذا حرص القادة والجند على هذا النظام وعدم مخالفته خشية العقوبة ونأخذ في ذلك مثلاً من عهد الحكم الربضى حيث كان خشية الفتى الصقلبى العقوبة سبباً في قيام ثورة كانت لها آثارها الكبيرة في تاريخ الإمارة الأموية ومصروالمغرب وهي ثورة الربض إذ يذكر أن هذا الفتى لم يهتم بسيفه فترة فصدأ وخشي إن تم العرض يراه عريفه صدئا فأسرع به إلى أحد الصياقلة القاطنين بربض شقندة جنوبي قرطبة من أجل إصلاحه، فتباطأ الصيقل، عندئذ تردد الفتى على الصيقل كثيراً وهو يستعجله خشية أن يحضر العرض دون سيف، وفي أحد المرات احتد على الصيقل وأغلظ له وصاح به فلم يقبل الصيقل من هذا الخرسى ما فعل فقتله وثارأهل قرطبة على إثر ذلك بسبب

(٢٣٦) راجع ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص١٩٠-١٩١.

حرص الصقلبى على النظام وخشية العقاب من عريفه[٢٣٧] فضلاً عن سوء العلاقة بين العامة وأولئك الخرس من الحشم الحكمى.

الحشم والتعبئة العامة للجيش الأندلسي

إن الاستعداد الجيد الذي وفره الحكام لأولئك الحشم جعلهم مستعدون في أي وقت للحركة إلى النفير، بحيث كانت تصدر الأوامر من الخليفة إلى أصحاب الحشم من أجل الاستعداد للحركة فيتم ذلك في وقت قصير من حيث الترتيب وخروج الأقسام المختلفة للحشم[٢٣٨] تلك التي خضعت للنظام العام للجيش الأندلسي[٢٣٩] المقسم إلى فرق وتلك الفرق تنقسم إلى كتائب وتتوزع الكتائب في ألوية والألوية إلى سرايا والسرايا إلى فصائل، وقد كانت الأوامر تبدأ من أعلى رتبة أي من الأمير في الفرقة إلى ما تحته من قادة الكتائب والذين بدورهم ينقلونها إلى نقباء الألوية ومنهم إلى عرفاء السرايا وعن طريقهم تصل الأوامر العليا إلى نظراء الفصائل. وإذا كان بروفنسال[٢٤٠] يعلق على هذا التنظيم بأنه كان تنظيريا لم يكن على أرض الواقع، إلا أن الشواهد التاريخية وأحداث الوقائع والحروب تؤكد العمل بهذا النظام وإن اشتهرت بعض التقسيمات عن غيرها ذكراً في المصادر وعلى ألسنة المؤرخين من باب تقديم الخاص على العام أو ذكر العام وتخصيصه بعد ذلك كأن يذكر الكتيبة ولا يعنى بعد ذلك بالفرقة أو يذكر الفرقة ويتحدث بعد ذلك عن العرافة وهكذا فضلاً عن أهمية الدور الذي

---

(٢٣٧) راجع ابن حيان: المقتبس، السفر الثاني، ص١٤٧-١٤٨.

(٢٣٨) راجع ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص٧٦.

(٢٣٩) راجع على بن عبد الرحمن بن هذيل: تحفة الأنفس وشعار أهل الأندلس، ص٢٤- ٢٥ نقلاً عن بروفنسال: تاريخ أسبانيا، م٢، ج١، ص٨٦.

(٢٤٠) تاريخ، م٢، ج١، ص٨٦.

يقوم به القسم ويتميزبه في المعركة عن غيره. أو يستعمل المؤرخ ألفاظاً عامة لاشك أنها كانت تعنى قسم معين من الجيش كأن يقول قطيع من الحشم والقطيع من الشيء الجزء كأن نقول قطيع أي غصن من الشجرة[٢٤١] ويضاف إلى ذلك أن هذا النظام أتانا من عصور متأخرة وموردة هو ابن هذيل من العصرالنصري حيث كانت الأحوال والظروف جد مختلفة في الأعداد وحجم الجيش وإعداده، بدليل اختلاف الأعداد بين الأقسام في هذا العصر والعصور التي سبقته فإذا كانت الفرقة في العصرالنصري تضم خمسة آلاف[٢٤٢] فإن ما جاءنا عن فرقة الحشم في العصر المرابطي على سبيل المثال أكدت أن الفرقة من السودان كان قوامها أربعة آلاف فقط.[٢٤٣] وربما كانت أزيد أوأقل من ذلك وذلك بحسب أعداد المشتركين في الحملات الحربية والمعارك. وعندما نذكر العرافة أي القسم الصغير الذي يرأسه عريف يتأكد لنا وجوده في العصرالأموي كماهو في العصر النصرى ولكن إذ كانت العرافة في العصرالنصرى تشمل أربعين رجلاً[٢٤٤] فإنها العصر الأموي أكثر من ذلك بكثير، فلم يكن في جيش عبد الرحمن الداخل سوى عرافة واحدة للسود ضمت أعداداً كبيرة بالطبع لكونها العرافة الوحيدة الموجودة في الجيش كما دلنا صاحب أخبار مجموعة،[٢٤٥] ومع تطور نظام الجيش في عهد خلفائه وجدنا العرافة في عهد الحكم الربضى شاعت بين قواته وحشمه وربطت بالفرسان دون الرجالة بعكس ما كان الأمر في عهد الداخل حيث ضمت

(٢٤١) ابن منظور: لسان العرب، ج٨، ص٢٧٦.

(٢٤٢) ابن هذيل: المصدر السابق.

(٢٤٣) راجع ابن خلكان: وفيات، ج٤، ص١١٨، ابن عذارى: البيان، ج٤، ص١١٧.

(٢٤٤) ابن هذيل: المصدر السابق.

(٢٤٥) المصدر السابق، ص٩٩.

العرافة الرجالة والفرسان معاً، ثم زادت في عهده فقد كان هناك من العرفاء في الحشم عشرة عرفاء وتحت يد كل عريف مائة فرس يشرفون عليها إشرافاً تاماً[٢٤٦] يكون فرسانها على أتم استعداد لما قد يفجأ الأمير من أمر يفزع إليه وإذا كانت حركة كانوا كنفس واحدة[٢٤٧] .وقد صار نظام العرافة في طريقه ثابتاً فإذا كان الحكم الربضى كون هذه العرافات من العبيد والمماليك وطعمها برجال من الأحرارضمهم إلى حشمه،[٢٤٨] فإننا عثرنا على ما يثبت استمرارهذا النظام وتزويد العرافات بالرجال الأمراء المصطنعين واضافتهم إلى الحشم ففي عهد الناصرلدين لما استنزل سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م الثائر سعيد بن مالك المخالف بكورة باجة هو وأخوته وأهل بيته ورجاله على الأمان نقلهم إلى قرطبة واستألف قلوبهم وصاروا في عداد حشمه.[٢٤٩] ففي عهد الحكم المستنصر وفي سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م بالتحديد أرسل الحكم إلى والى طليطلة في إصطفاء الرجال، فأرسل إليه الوالي في نفس العام فرقة كاملة من هؤلاء الرجال المصطفين والذين انتقاهم من ثغرطليطلة من ذوى البأس والرجولة وكانت عدتهم ألفاً وسبعمائة، دخلوا قرطبة معبئين في الزي الجميل والشكل العام قد لبسوا الأقبية البيض وتقلدوا السيوف الإفرنجية وبأيديهم التراس والرماح المستوية الأسنة، فتقدموا إلى الزهراء وعليهم العرفاء الذين وكلوا به، وقعد لهم الوزراء وأصحاب الحشم لاعتراضهم، فتم الاستعراض والإنفاق عليهم وجهزوا ثم أرسلوا إلى العدوة.[٢٥٠]

---

(٢٤٦) أخبار مجموعة، ص١١٨.

(٢٤٧) نفسه.

(٢٤٨) ابن حيان: السفر الثاني، ص١٦٥.

(٢٤٩) ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص٢٤٨.

(٢٥٠) راجع ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص١١٨.

وفي هذا الخبر دلالة على استمرارالتطور في نظام العرافة وثبات النظام العام للجيش فقد ذكرعن هؤلاء الطليطليين بأنهم "فرقة" قسمت إلى عرافات عليهم، عرفاء، وفيه دلالة أيضاً على زيادة أعداد العرافة في العصر الأموي عن العصور المتأخرة.

ومما يدل على استمرارالنظام الحربي العام وتمثل الحشم فيه ما ورد في مصادرنا غير ما أوردناه عن شهرة قسمى العرافة والفرقة واشتراك الحشم فيها، أن الحكم الربضى كما كون حشمه الحربي جعلهم كتائب وقود عليهم كبار قواده،[٢٥١] وهي نفس الكتائب التي خرج إليها بزيع وكان من العبيد المسجونين يوم واقعة الربض فأخرجه السجانين بعد ما تعهد بالرجوع. للاشتراك في مدافعة أهل الربض يقول ابن حيان "فاندخل في كتيبة من هؤلاء المماليك الحشم أصحابه وهم مع المغيرة بن هشام وقاتل معها"[٢٥٢] وقد اشترك الحشم ككتيبة في حراسة مالقة ومغاورة حصونها في عهد الناصر لدين الله،[٢٥٣] كما ألزم الناصر كتيبة من الحشم أخرى مع واليها القائد عبد الملك بن العاص.[٢٥٤] وعهد الخليفة الحكم المستنصرإلى صاحب الخيل في أحد المرات "بترتيب الكتائب"[٢٥٥] كما أخرج مواليه محمداً وزيادا ابني أفلح الناصرى بكتيبة من الحشم لتلقى غالب الناصرى صاحب مدينة سالم[٢٥٦] المورد لملك جليقية[٢٥٧] وأرسل الناظرفي الحشم في

(٢٥١) راجع ابن الأبار: الحلة، ج١، ص٤٦، النويري: نهاية ج٢٣، ص٣٧٢.

(٢٥٢) راجع ابن حيان: السفر الثاني، ص١٥٢.

(٢٥٣) ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص٢١٠-٢١١.

(٢٥٤) نفسه.

(٢٥٥) ابن حيان: المقتبس ت الحجي، ص٤٧.

(٢٥٦) مدينة سالم.

كتيبة من الخيل إلى مدينة إشبيلية للقبض على بعض المجرمين سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م[٢٥٨] .

وعليه فإن أجناد الحشم مثلوا في فرقة الجيش المختلفة فرساناً ورجالة إلا أن بعضهم تميز بما أجاد به القتال من آلة الحرب واستخدامها مثل الذين عرفوا بالعبيد الرماة.[٢٥٩] وآخرون عرفوا بعبيد الدرق[٢٦٠] وهؤلاء فيما يبدو كانوا يقاتلون راجلين في حين عرف آخرون بأنهم فرسان العبيد[٢٦١] وكل هذا النسيج من الأحشام في فرق الجيش المختلفة شكل جزءاً هاماً في التعبئة العامة للجيش والترتيب أثناء المعركة حيث مثلوا في المقدمة والميمنة والميسرة والساقة وفي القلب حيث كان يقف الخليفة إذا خرج في حرب أو غزوة[٢٦٢] وأولئك كانوا من خواص الخليفة أو الحكام الذين كما قلنا كانوا معه في حله وترحاله يركبون حيث يركب وينزلون حيث ينزل[٢٦٣] وهذا سيجرنا للحديث عن الحشم والوحدات الخاصة في الجيش الأندلسي.

الحشم والوحدات الخاصة في الجيش الأندلسي

علاوة على اشتراك أجناد الحشم في المعارك والحروب مع الجيوش القائلة وجدت هناك فرقاً خاصة منهم دارت حول الخلفاء تميزوا بما لم يكن في

---

(٢٥٧) المقري: نفح، ج١، ص٣٨٨.

(٢٥٨) المصدر السابق، ص١٧١.

(٢٥٩) راجع ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص٤٨، ١٢٩، ١٩٦.

(٢٦٠) المصدر السباق، ص٤٨، ١٩٦.

(٢٦١) المصدر السابق، ص٤٩.

(٢٦٢) راجع ابن خلدون: المقدمة، ج٢، ص٦٧٨-٦٧٩.

(٢٦٣) راجع، النويري: نهاية، ج٢٣، ص٣٩٨، ابن أبى زرع: الأنيس، ص٢٨٢.

غيرهم من أجناد الحشم وهؤلاء كانوا يتميزون بالشجاعة الفائقة والإعداد الخاص، مهمتهم الرئيسية هي حراسة الخليفة والوزراء وكبار الشخصيات ولذلك كان حضورهم الظاهر في الاحتفالات العامة والمناسبات واستقبال الجيوش المنتصرة وكذلك سفراء الدول الأجنبية، شاكين في سلاحهم مرتدين ملابسهم الحربية في زينة تامة وأبهة ظاهرة فعند استقبال القائد غالب بعد رجوعه منتصراً من الغرب، كانوا شاكي الأسلحة ظاهري الأبهة وأقصى الزينة[٢٦٤] "وفي البروز المعد لدخول جعفربن على الأندلسي وأخيه ومن معهما لبس الحشم" الدروع السابغة والبيض اللامعة... ولبس بعضهم من فرسان العبيد الرماة الخاصة الأقبية البيض متقلنسى المقاريف الوبر منتكبى قسيهم وكنانهم"[٢٦٥] والبعض الآخر وهم من الجعفريين وفرسان الرياضة "كانوا عصبة رائقة المرأى كاملة الشكة على رؤوسهم للبيضات المذهبة وبأيمانهم الحراب الواسعة العريضة على صنعة السيوف الإفرنجية الملونة العصى، المزينة بأنابيب الفضة"[٢٦٦] .

وهؤلاء الذين كونوا هذه الفرق الخاصة المقربون من الأمراء والخلفاء عرفوا في عصر الناصر "حماة حشم الناصر"[٢٦٧] كما أطلق عليهم ثقات الحشم"[٢٦٨] و"خاصة الحشم"[٢٦٩] أو خواص الحشم[٢٧٠] وهؤلاء الخواص كانوا

---

(٢٦٤) راجع المقتبس، ت الحجي، ص١٩٤ وما بعدها.

(٢٦٥) المصدر السابق، ص٤٨-٤٩.

(٢٦٦) المصدر السابق، ص٥١، ١٩٩.

(٢٦٧) ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص١٦٦.

(٢٦٨) المصدر السابق، ص١٨١.

(٢٦٩) المراكشي: المعجب، ص٢٦٦.

(٢٧٠) المصدر السابق، ص٨٩.

يؤدون ما يكلفون به من خدمة من ذلك قيام خواص حكم المعتضد ابن عباد بإبراز أمر هشام المؤيد المدعى "[٢٧١]. ومن مهماتهم الخروج مع الحاكم عند الصلوات كما كانوا مع الخليفة الموحدي.[٢٧٢] وقد كانوا لا يخرجون من العاصمة إلا لضرورة قصوى يراها الحاكم فيحتاج إليهم لدحر ثائر قوى أو في غزوة تحتاج أعداداً كبيرة أوحادث طارئ خارج العاصمة والجيش في مكان آخر عندئذ كان الحاكم يخرج هؤلاء الأحشام الخواص مثلما حدث سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م عندما اعتدى النصارى على الثغر الأعلى فأخرجهم الناصر مع قائده الوزير أحمد بن محمد بن حدير[٢٧٣]، وهذه الفرق الخاصة تميزت باسماء متعددة فإما تكون منسوبة إلى بلادها مثلما كان الحال في **الطنجيين** المنسبوين إلى طنجة[٢٧٤] وإما إلى أوليتهم مثل العبيد **الخمسيين** أوأكابر الخمس فرسانهم ورجالهم[٢٧٥] أولئك الذين كانوا ينقسمون إلى فرق عزا البعض[٢٧٦]، اسمها إلى عدد كل فرقة منها وهو الخمسين، والبعض الآخر [٢٧٧]إلى حصة الخمس التي هي نصيب الدولة من غنائم الحرب، ونرجح أنها من عبيد الأخماس نصيب

(٢٧١) المراكشي: المصدر السابق، ص٢٦٦

(٢٧٢) المصدر السابق، ص٨٩.

(٢٧٣) ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص٢٨٨.

(٢٧٤) وكان أول من جلبهم وأطلق عليهم هذا الاسم هو الناصرلدين الله راجع ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص١٨٩.

(٢٧٥) راجع ابن حيان: المصدر السابق، ص٤٠، ٤٨، ١٢٢، ١٥٦.

(٢٧٦) محمود عرفة محمود: دراسات وبحوث في الحضارة الإسلامية، القاهرة، سنة ١٩٩٩م، ص١٦٥.

(٢٧٧) راجع سحر عبد المجيد مناورالمجالي: تطورالجيش العربي في الأندلس ١٣٨-٤٢٢هـ/ ٧٥٦-١٠٣١م، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ط١، ص١٠٧.

الدولة في غنائم الحرب الذين كانوا يورثون للحكام المتتابعين وبدايتهم كان من الفتح عندما خصصهم موسى بن نصير لزراعة الأرض والفلح وعرف أبناؤهم بأبناء الأخماس[٢٧٨]، ثم زادهم الأمراء والخلفاء وكما ذكرنا فقد ورث الحكم الربضى عن أبيه هشام مجموعة كانت من فيئ مدينة أربونة[٢٧٩] وقد استمر هؤلاء يعرفون بعد ذلك بالخمسيين وذلك حتى ظهورهم الجلى في عهد الحكم المستنصر[٢٨٠]، ومثل **المسترين** ذلك الاسم الذي أطلق على مجموعة من العبيد الذين أعتقهم الأمير عبد الرحمن الأوسط[٢٨١] فصارت سمة عليهم واستمرذلك على ذريتهم حتى عهد الحكم المستنصروكان لهم حضور أيضا في الاحتفالات العامة.[٢٨٢] أو نسبوا إلى شخص بعينه مثل" **الجعفريون**" نسبة إلى الصقلبي جعفر الحاجب الهالك في عهد الحكم المستنصر[٢٨٣] لا كما يذكر البعض[٢٨٤] نسبة إلى جعفر بن عثمان المصحفي مدبردولة الحكم المستنصروحاجبه. أونسبة إلى الالتزام العسكري الصارم وعدم مفارقة الخلفاء والأمراء مثل **الصيديين** الذي أتى أسمهم من الأصيد أي الذي لا يستطيع الالتفات أوهو ذلك الذي يرفع رأسه

---

(٢٧٨) عن هذا الموضوع راجع محمد الغساني الأندلسي: رحلة الوزير في افتكاك الأسير، سنة ١٦٩٠-١٦٩١تحقيق نورى الجراح،أبو ظبي ، بيروت، سنة ٢٠٠٢،ص ١٣٩ د/ حسين مؤنس، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى قيام الإمارة الأموية، القاهرة، سنة ١٩٥٩م، ص٦٢٧.

(٢٧٩) ابن حيان: السفرالثاني، ص١٥٢.

(٢٨٠) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص٤٨، ١٢٠، ١٥٦، ١٧٤، ١٩٥، ٢٢٣.

(٢٨١) ابن حيان: السفرالثاني، ص١٥٢.

(٢٨٢) ابن حيان: المقتبس، ص٤٩، ١٩٧.

(٢٨٣) راجع ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص٥١، ١١٩.

(٢٨٤) سحر المجالي: المرجع السابق، ص١٠٧.

كبراً[٢٨٥]، ومنه جاء اسم الملك باسم أصيد أي الذي لا يلتفت يميناً ولا يساراً[٢٨٦] وقد كان هؤلاء ملتزمين سلوك الأصيد فيمشون في العروض وأيام البروز بانضباط تام رافعي رؤوسهم كبراً وخيلاء لا يلتفتون يمنة ولا يسرة. وربما سموا بذلك لأنهم يلازمون دائماً الأمير أو الخليفة.[٢٨٧] وأخيراً إلى عملهم مثل **فرسان الرياضة** وذلك نسبة إلى ممارستهم الرياضة والتدريب للجنود من الحشم أو حتى ممارسة الرياضة مع الأمراء[٢٨٨]، أوأنهم كانوا مسئولين عن ترويض الخيل وتذليلها وتعليمها السير وإعدادها للفرسان[٢٨٩] وقد كان لهم حضور في المناسبات العامة والاحتفالات بملابسهم الخاصة وسلاحهم المعتاد.[٢٩٠]

والخلاصة أن تهيئة أجناد الحشم وتعبئتهم دلت على كثرة أعداد الحشم وأهميتهم في الجيش الأندلسي وجمعتهم جميعاً في مصادرنا "طبقات الحشم"[٢٩١] وذلك من أجل كثرتهم من ناحية ومن أجل التمييز بين فرقهم ومراتبهم في

---

(٢٨٥) ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٢٦٠.

(٢٨٦) نفسه.

(٢٨٧) سحر المجالي: المرجع السابق.

(٢٨٨) كما مارسوها مع الحكم الربضى راجع أخبار مجموعة، ص١١٨، حيث كانوا يلعبون معه بالصولجان، راجع ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٧٩.

(٢٨٩) ابن منظور: المصدر السابق، ج٧، ص١٦٢، سحر المجالي: المرجع السابق، ص١٠٦.

(٢٩٠) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص٥١، ١٥٦، ١٩٩، المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٨٨.

(٢٩١) راجع ابن حيان: المصدر السابق، ص١٥٦، ١٦٨، ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص٣٥٦، ٤٥٦.

الجندية أو منزلتهم عند الحاكم، كما كانوا يخضعون جميعاً لإشراف شخصية إدارية كبيرة يعينها الحاكم عرف باسم صاحب الحشم.[٢٩٢]

صاحب الحشم

عرف بهذا الاسم نسبة إلى علاقته بأولئك الحشم حول الحاكم وهذه العلاقة تقوم على إشرافه التام عليهم من أجل إعدادهم وتهيئتهم لما يقومون به من مهام، كما عرف كذلك باسم الناظر في الحشم[٢٩٣] ونظرة لكثرة أعداد الحشم وتعدد مهام صاحب الحشم فإن الحكام الأمويين أسندوا هذه الخطة الإدارية إلى أكثرمن شخص لذلك وجدنا في مصادرنا تعبير "أصحاب الحشم"[٢٩٤] وربما أضاف الحاكم خطة الخيل إلى صاحب الحشم لتقارب مهام الوظيفتين فعرف بعض ولاة الخطة باسم "صاحب الخيل والحشم"[٢٩٥] أو أن يتولى هاتين الخطتين شخصين ولكن يرد ذكرهما في المصادر مرتبطين وخاصة في حضور الاحتفالات العامة في العيدين واستقبال الرسل وما إليها واشهر من تولى هذا المنصب لبنى أمية محمد بن نصر في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن[٢٩٦]

---

(٢٩٢) راجع: ابن القوطية: تاريخ ص١٠٩، ابن حيان: المقتبس ت شالميتا، ص٨١٢٧٧، ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص٢١-٢٢، ص٢٥-٢٦، ص٣٠، ٥٠-٥١..الخ ابن الخطيب، ابن عذارى: البيان، ج٢، ص١٣٠.

(٢٩٣) راجع ابن حيان: المقتبس، الحجي، ص٤٧، ٧٨، ١٨٢ ..الخ ابن الخطيب، تاريخ، ص٥٩.

(٢٩٤) راجع ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص١٦٥، ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص١١٨، ١٨٤.

(٢٩٥) راجع ابن حيان: المقتبس، الحجى، ص١١٩، ١٨٢، ١٩٦، ١٩٨، ٢١٠، ص٢٣٠.

(٢٩٦) ابن القوطية: تاريخ، ص١٠٩.

وسعيد بن عبد الوارث في عهد الناصر لدين الله[٢٩٧] ومحمد بن قاسم بن طملس[٢٩٨] وابنه قاسم بن محمد بن قاسم بن طملس[٢٩٩] وزياد بن أفلح[٣٠٠] ومحمد بن أبى عامر[٣٠١] في عهد المستنصر بالله ورفضها يعلى الزناتي من قبل عبد الرحمن شنجول بن المنصور[٣٠٢] على كل حال كان صاحب الحشم أوالناظر في الحشم يشرف فيما يبدو على الحشم داخل القصر وخارجه ولكن دوره الأظهر في خارج القصر أي الأشراف على الأحشام من الفحول والأجناد وإجمالاً يمكننا القول بأن كان بمثابة وزير الخاصة أو وزير القصر، المشرف العام على الحشم وترتيبهم للمهام التي يكلفون بها والمهمة الأولى كانت تعبئتهم للحرب والجهاد ونذكر في ذلك أن الناصر لما علم بخبر اجتماع ملكي النصرانية في الشمال ونيتهما في مهاجمة الثغورالإسلامية إنزعج لذلك وأمر القواد وأصحاب الحشم بتعبئة العساكر وإقامتها على حدودها ـــ أي دار الحرب ـــ وضبط أطرافها ثم نهض بها على تمام تعبئتها في غزوة مونش سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م[٣٠٣] ،ومن ذلك أيضا أمر الخليفة المستنصر بخروج القائد غالب إلى الثغر الأوسط والاستعداد لهذا الخروج "والسلطان قد جمع له أمره ووكل به وزراءه

(٢٩٧) ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا ص٧٧، ٨١.

(٢٩٨) ابن حيان: المقتبس، الحجي، ص٢٥، ٢٦.

(٢٩٩) المصدر السابق، ص١٠٦، ١١٩، ١٧٠، ١٧١..الخ.

(٣٠٠) المصدر السابق، ص٢٥، ٤٧، ١١٩، ١٣٦، ١٧١ وغيرها.

(٣٠١) ابن الخطيب: تاريخ، ص٥٩.

(٣٠٢) ابن عذارى: البيان، ج٣، ص٦٧.

(٣٠٣) راجع ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص١٦٥.

وطبقات خدمته من الحشم بتجريد الأجناد معه وتكميل جهـازه فـأوعبوا ذلـك سريعاً"[٣٠٤] .

وجاء من عصر الأمير محمد ما يؤكد أن أصحاب الحشم في الغالب كانوا يصحبون هؤلاء الأحشام في الغزوات والحروب[٣٠٥] كما كان صـاحب الحـشم مسئولاً كذلك عن إعداد الحشم وفرقهم المختلفة لحضور الاحتفالات العامة فـي العيدين واستقبال للرسل وغير ذلك على أحسن ترتيب وأروع تنظيم[٣٠٦]، وكان يوكل إليه تنظيم استقبال الأولياء والقادة المنتصرين وربما يأخذون في ذلك أياماً وليال طوال يواصلون فيها العمل حتى يتم ما أوكل إليهم[٣٠٧]، ففي حفل استقبال القائد غالب قافلاً من المغرب منتصراً سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م تكفل أصحاب الحشم القيام بما عليهم من استركاب الأجناد وإقامة مـراتبهم فـاحكموا شـأنه علـى عاداتهم"[٣٠٨] وعندما يتم صاحب الحشم أو أصحاب الحشم الإعداد لهذا الحفـل يتبوأ مكانة بجوار الخليفة عن يمنيه أو يساره[٣٠٩]، وربما يكون حاجباً للخليفة في هذه المناسبات[٣١٠] كما كان يعهد إلى أصحاب الحشم بالقيادة سواء كان ذلك في الصوائف[٣١١] أو لإخماد ثورة[٣١٢] أو إمـداد جـيش[٣١٣] أو تـسكين فتنـه أو

(٣٠٤) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص٢٢١.

(٣٠٥) ابن القوطية: تاريخ ص ١٠٩.

(٣٠٦) راجع ابن حيان: المصدر السابق، ص٤٧، ٥٠... الخ.

(٣٠٧)المصدر السابق ص٤٧.

(٣٠٨) المصدر السابق، ص١٩٥.

(٣٠٩) المصدر السابق، ص٢١، ٣٠، ٥٠، ١١٩، ١٣٦، وغيرها.

(٣١٠) المصدر السابق، ص١٨٢.

(٣١١) المصدر السابق، ٧٨.

(٣١٢) ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص٧٧، ٨٢

تنازع[٣١٤] وربما عهد إلى صاحب الحشم ترتيب حمل الأثقال والإعداد التام لنزول الحكام والأمراء وذويهم في أماكن بعينها للنزهة من إعداد السرداقات وضروب الوطاء والآنية وغيرها مثلما فعل قاسم بن محمد بن طملس للأمير هشام بن الحكم المستنصر لما نزل للنزهة بالجزيرة الخضراء[٣١٥]

في الجنوب.[٣١٦] وأخيراً أضيف إلى صاحب الحشم مهام وخططاً أخرى بجانب عنايته بالحشم مثل خطة الخيل[٣١٧] وخطة الشرطة العليا[٣١٨] ويلاحظ تقارب هذه الخطط في الوظيفة الحربية والأمنية حتى يسهل على متوليها مباشرة أعمالها للمعرفة التامة بها.

دور الحشم العسكري

(٣١٣) ابن حيان: المقتبس الحجي، ص٧٩، ١٠٦.

(٣١٤) كما حدث بين الطنجيين وطوائف الجند بقرطبة سنة ٣٦١هـ راجع المصدر السابق، ص٧٨ .

(٣١٥) الجزيرة الخضراء(Algeciras):محلة رومانية قديمة ،أول مدينة أفتتحت من الأندلس وعرفت في العصر الإسلامي بجزيرة أم حكيم نسبة إلى جاريه طارق بن زياد تخلفها في الجزيرة فنسبت إليها وهي على ربوة مشرفة على البحرمقابلة لمدينة سبتة شرقي مدينة شذونة جامعة لخيرات البر والبحر وقد استولى عليها الأسبان سنة٧٤٢هـ/١٣٤٢م، راجع ياقوت: معجم البلدان، ج٢ص١٣٦، الحميري: الروض، ص٢٢٣-٢٢٤،عنان: الآثار، ص٢٨٢-٢٨٣.

(٣١٦) المصدر السابق، ص١٧٧.

(٣١٧) المصدر السابق، ص١١٩، ١٨٢، ١٩٦، ١٩٨، ٢١٠، ٢٣٠.

(٣١٨) المصدر السابق، ص١٧٧، ١٨٥.

لم يثمر اهتمام الحكام بالحشم وتكوينهم وتهيئتهم وتنظيمهم إلا ما هو في صالح ولاة أمرهم من الحكام والأمراء وذلك لأن هؤلاء الأجناد أخلصوا لمن اعتنى بهم ورتب حياتهم وأنفق عليهم بل ورفع مكانتهم والنتيجة هي مشاركة أولئك الأجناد بفاعلية في حفظ أمن الحكام ودولهم بالإسهام في الحراسات والقضاء على الفتن والثورات والطاعة التامة لمواليهم في أمور الجهاد حتى في التوسعات الخارجية للدولة. وهذا ما سنقوم برصده في الصفحات التالية من أجل إبراز دورأجناد الحشم المتميز للتدليل على مشاركاتهم المؤثرة في الحياة الحربية في الأندلس في فترة الدراسة.

١- أجناد الحشم والحراسة

اضطلع أجناد الحشم بالعديد من الحراسات في الأندلس فيما يخص الحاكم في شخصه وقصوره وما يحفظ أمن مستراحاته ومتنزهاته أو ما يحفظ أمن عاصمته بصفة عامة مثل حفظ البوابات الرئيسية وكذا كانوا حراساً للسجون. والناظر في أمر هذه الحراسات لأول وهلة سيجزم بأن القائمين بها من أجناد الحشم خاضعين على الدوام لأصحاب الشرط الثلاثة في دولة بنى أمية أو لصاحب المدينة، ولكن من خلال تتبعنا لدور أولئك الأجناد في حفظ الأمن لم نعثرعلى ما يمكننا من خلاله الربط بين هؤلاء الأجناد وبين هذه الخطط، إلا خطتي الشرطة العليا وصاحب المدينة أما الأولى فبدليل أن صاحب الشرطة العليا كان يسند إليه أمرالحشم أو العكس[٣١٩] وهو أمر طبيعي لأن الخطتين تعنيان بالحكام وخاصة الأندلس. أما الثانية فباستنتاج أن المسئول عن المدينة يخضع له أبوابها العامة وحفظ قصور الحكام والخاصة التي اضطلع بها أجناد

(٣١٩) راجع ابن حيان: المقتبس ت الحجي، ص١٠٦، ١١٩، ١٧٠، ١٧٧..الخ.

الحشم وفيماعدا ذلك كان أولئك الأجناد خاضعين لصاحبهم مأمورين بأمره وأمر الحاكم طالما كانوا في أوقات السلم في العاصمة، ثم يخضعون لما يعين عليهم من قادة أثناء الفتن والحروب أو الجهاد في سبيل الله، وسندرس دور أجناد الحشم العسكري على النحو التالي:-

أ- حراسة الحاكم:-

إن الأمن واستقرار الأحوال كانا بعيدين عن الأندلس في عصر الولاة قبل دخول ابن معاوية الأندلس وتأسيس الإمارة الأموية وذلك لسبب رئيسي تمثل في العصبية العرقية ثم العصبية القبلية التي سادت البلاد(٣٢٠)، ولذلك كثرت الإحن وتعددت العداوات بين سكانها. وإذا كان ابن معاوية قد استغل هذه الاضطرابات ولعب على وتر تلك العصبيات في سبيل تأسيس دولة بنى أمية إلا أنه خرج منها أيضا بعداوة أكبر عصبيتين في الأندلس وهم القيسية واليمنية وإذا كان قد استطاع أن يقضى عليها سياسياً ويخضعهم لسلطانه، إلا أن اليمنية الذين ساعدوه على نيل الملك ضغنوا عليه وازدادت نقمتهم، لأنه لم يترك لهم الحبل على الغارب في الأخذ بثأرهم من القيسية (٣٢١)فترصدوا له وأسروا قتله والتخلص

(٣٢٠) حيث تعصب البربر ضد العرب وقامت بينهما الحروب والتي انتهت بدخول بلج بن بشر القشيري لبلاد الأندلس فتحول التعصب والنزاع إلى صراع بين البلدين من أهل الأندلس وبين الشاميين بقيادة بلج وبعد فترة تحول الصراع إلى العصبية القبلية بعد أن أنهى الحسام بن ضرار الكلبي مشكلة أجناد الشام بتوزيعهم مع كور الأندلس بعدها صار الصراع بين القيسية واليمنية حتى وصول عبد الرحمن بن معاوية وتأسيس الإمارة الأموية.

(٣٢١)راجع أخبار مجموعة، ص٨٣.

منه، عندئذ دخل عليه أحد الجذاميين[٣٢٢] وهو من اليمنية ونصحه قائلاً له احترس وضم إليك مواليك ومن يومئذ ولى شرطته عبد الرحمن بن نعيم وضم إليه مواليه وجعلهم حراسة[٣٢٣] أي أن ابن معاوية جعل حراسة من مواليه بعد أن ضمهم إلى قصره وهم نبتة الحشم الأولى التي تفرعت غصونها بعد ذلك بعد أن ضم إليها ابن معاوية عناصر أخرى وقد قام هؤلاء الموالي والحراس بدورهم على أكمل وجه في حماية الأمير عبد الرحمن ونأخذ ذلك من مشهد الثائر اليمني أبى الصباح اليحصبى الذي استدعاه الأمير إلى قصره بقرطبة فجاء ومعه أربعمائة فارس، فلما عاتبه عبد الرحمن اغلظ له بل وتهدد الأميروهم به أو كاد يبسط يده، عندئذ جاء دور الحراس من الفتيان الذين أمرهم عبد الرحمن به فطعن في أوداجه بالخنجر ثم قتله الفتيان ونحوه من مجلس الأمير وحموا سيدهم في وقت كان جيش الأمير عبد الرحمن غائباً[٣٢٤].

وقد زادها ابنه هشام وأحفاده من بعده ليصيروا في مأمن من متمردي الرعية والحاقدين منهم والخصوم فلما خرج الأمير هشام (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) ليلاً في خاصة من بطانته ومعه مال كثير أراد أن يعطيه لأحد الفقهاء الصالحين لتوزيعه ركب مع فتيانه الذين أمرهم بقرع باب الفقيه ولما فتح الفقيه الباب قال له أحد الفتيان :هذا الأمير فافتح الباب[٣٢٥]. أما الحكم

(٣٢٢) مجهول: فتح الأندلس، دراسة وتحقيق يوسف سولثيا، مدريد، سنة ١٩٩٤م ويذكر أن أسمه ثعلبه بن عبيد الجذامي،.

(٣٢٣) أخبار مجموعة، ص٨٤ .

(٣٢٤) المصدر السابق، ص٩٧.

(٣٢٥) محمد بن الحارث الخشنى: أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق ماريا آيبلا ولويس مولينا، مدريد، سنة ١٩٩٢م، ص٩٦.

الربضىفقد اتخذ حرساً خاصاً بأعداد كبيرة كانوا يلفونه في حله وترحاله بقرطبة أوخارجها لا يفارقونه أبداً يأمرهم فيسرعون في تنفيذ ما أمر به على ما يرى إجرائه في العامة وغيرهم وبالذات من الذين تطاولوا عليه بالمناداة بما يكره أو التصفيق عليه أوغير ذلك[٣٢٦] وقد كان لهذا الحرس الخاص كما ينبأنا ابن حيان[٣٢٧]رئاسة خاصة أوقائد وهو ربيع القومس[٣٢٨] فقال عنه "قائد أهل الذمة وقائد الغلمان الخاصة المعروفين بالخرس "وبعد أن قضى على ثورة أهل قرطبة شدد من إجراءات الحراسة فقيل" ازداد الحكم.. في شد سلطانه وإغلاظ حجابه وتمكين هيبته"[٣٢٩] بما أمن به على نفسه وأهله. وسار خلفاؤه على منواله في هذا الأمر فأمنوا أنفسهم ومسيراتهم في قرطبة فيذكرعن الأميرعبد الله أن له غلماناً يحرسونه أينما ذهب وحل فعندما كان يخرج للحرب مع الثوار ويضرب

(٣٢٦) لذا أمر من حوله من حشمه ذات مرة بالقبض على عشرة منهم وصلبهم راجع النويري: نهاية، ج٢٣، ص٣٧١، ابن الأثير: المصدر السابق، ص٤١٣.

(٣٢٧) السفر الثاني، ص١٥٠-١٥١.

(٣٢٨) وهو ربيع بن تدلف (ثيودلفو) القومس الذي قربه الحكم لنفسه وولاة قهرمته وأموره الخاصة وأطلق يديه على الرعية ولذا صار من أشد الخلق واشغفهم بالظلم والاستطالة على الناس وبالذات من المسلمين الذين سامهم الخسف وأحدث فيهم المنكرات، وتعدى عليهم كثيراً ولذلك نجد الأمير عبد الرحمن الأوسط بعد أن بويع بولاية العهد وأثناء مرض والده أصدر أمره بقتل ربيع الذي عرف عند الناس بربيع الشر وذلك تقرباً إلى العامة وإزالة حقدهم على الإمارة، راجع عن ربيع وسيرته ابن حيان: السفر الثاني، ص١٥٠-١٥١، ١٨٣-١٨٤، ٤٠٩ وغيرها مع الصفحات.

(٣٢٩) السفر الثاني، ص١٦٠.

سرادقه كان يعين عليهم مجموعة من الحشم عرفت باسم رماة المماليك الذين مهروا في الرمي بالنبال ورشق الأعداء بها[٣٣٠] .

ويذكر عن عبد الرحمن الناصر أنه كان يسير ذات يوم بقرطبة وهو في موكبه خرج عليه معتوهاً بعد أن كمن في جنبات الطريق ثم ثار في وجهه وصاح صياحاً منكراً وهرول نحو الناصرومد يده إلى شكائم فرسه، فنفر الفرس وكاد أن يلقى الناصر عنه لولا استمساكه، عندئذ ظهرت فرقة الحراسة الخاصة من أكابر فتيانه الخصيان الصقالبة الحافون به يحسبونه ــ أي المعتوه ــ خارجياً فخطفوه بأسيافهم ووخزوه بأسنتهم فقتلوه حرصاً علي الناصر وقياماً بواجبهم المنوط بهم، ولماعلم الناصربأنه معتوه أنكر عليهم ووبخهم وسأل عن أهله فعوضهم وأحسن إليهم.[٣٣١] وما يذكره النويري[٣٣٢] عن حشم الناصر القاطنين معه وحرسه الخاص الذين يتحلون بمناطق الذهب ويحملون السيوف المحلاة يركبون لركوبه وينزلون لنزوله ليدلل على كثرة أعداد حرس الناصرمن الحشم وأبهة موكبه وهيبته.

وقد كان لمحمد بن أبى عامر ــ الذي ناغى الناصر لدين الله في كل شيء وتشبه به ــ حرساً خاصاً وسماهم أهل موكبه[٣٣٣] أي أنهم كانوا يصحبونه ولا يفارقونه حتى في الحروب ففي غزوته الجهادية سنة ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م لما اشتد القتال واستعرت الحرب حتى كاد يهزم جمع المسلمين لم يطق أولئك الحشم الصبر بل تركوا المنصور ليشاركوا إخوانهم وهم صالو الحرب ولما أمر أحد

(٣٣٠) ابن حيان: المقتبس، ت العربي، ص١١٧-١٢٥.

(٣٣١) ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص٣٧.

(٣٣٢) نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٩٨.

(٣٣٣) ابن الخطيب: تاريخ، ص٧١.

الناس أن يعترض له من حوله لم يجدهم فدعا لهم من هول الموقف قائلاً "اللهم إنهم خلوني فانصرهم وأفردوني فاصحبهم"(٣٣٤).

ولم يستغن ملوك الطوائف وسلاطين المرابطين وخلفاء الموحدين عن الحرس الخاص وأن كانت الإشارات في مصادرنا عن ذلك قليلة إلا أنها دالة على استمرار تلك الحراسات مع الحكام فعندما خرج عبد الله بن بلكين آخر ملوك بنى زيرى في غرناطة لملاقاة يوسف بن تاشفين خرج في موكب وهو محفوف بالحرس من حشمه وبعضهم كان يفسح له الطريق حتى قابل ابن تاشفين.(٣٣٥) ولما استفحل ملك يوسف بن تاشفين اتخذ حرسا ممن ضمهم من الأعلاج وأهل دخلته وحاشيته ــ أي من خواصه ــ وسماهم الدخليين(٣٣٦) وكانوا بأعداد كبيرة وسار أبناؤه على نهجه في ذلك، ووجدنا في العصر الموحدى الأمر كما كان قبلهم في شأن هذه الحراسة الخاصة فقد كان لخلفائهم حراساً يتبعونهم في كل تحركاتهم يركبون لركوبهم وينزلون لنزولهم(٣٣٧) ويصحبونهم حتى لصلاة الجمعة حيث كان الخليفة يخرج في هؤلاء الخواص من الحشم يحيطونه فيجلس ويستمع الخطبة ويصلى وهم يحيطون به ثم يعود وهم معه إلى القصر(٣٣٨).

وأخيراً لم تكن حراسة الحشم للحكام مقصورة عليهم فقط بل امتدت لتشمل أبناءهم من الأمراء الصغار والكبار فقد كان لكل أميرحرسه الخاص وحشمه والمسمون أعوان كما ورد عن حرس الأمير محمد بن طروب زوجة

(٣٣٤) المصدر السابق، ص٧١.

(٣٣٥) دوزي: المرجع السابق، ص١٤٧، هنرى بيرس: المرجع السابق، ٢٣٤.

(٣٣٦) الحلل الموشية، ص٢٢.

(٣٣٧) راج ابن أبى زرع: الأنيس، ص٢٨٢، ٢٩٤، ٣١٥.

(٣٣٨) راجع المراكشي: المعجب، ص٢٧٩.

الأمير عبد الرحمن الأوسط أثناء المنافسة بينه وبين أخيه محمد بن الأمير عبد الرحمن من زوجة أخرى.[٣٣٩]

ب -الحشم وحراسة الأبواب والقصور والسجون:-

رتب الحكام البوابين من الحشم على الأبواب العامة الكبيرة للمدينة وكذلك على أبواب القصوروالمنيات وذلك من أجل تأمين المدينة بصفة عامة وأنفسهم بصفة خاصة وحرصوا أشد الحرص على إنتقاء الحراس المخلصين من أحشامهم فرتبوهم على الأبواب وجعلوهم دولا في الحراسة ومن أخبار ذلك أن الحكم الربضى رتب جمعاً لا يفارقون باب قصره بالسلاح[٣٤٠] "وكانوا نواباً على باب قصره"[٣٤١]، يقول ابن حيان[٣٤٢] "وألزمهم السكني على باب قصره على نوب متصلة" وينقل عن الرازي ما يفهم منه بهذا الخصوص أن الذين كانوا للحراسة على الأبواب من الرجالة وكانوا نحواً من ألفى راجل من الحرس ألزمهم المقام على أبواب القصروأنقابه من كل جهاته وهم من ضمن الخمسة آلاف الذين أعتقهم عبد الرحمن الأوسط أي المسترين[٣٤٣]. ويذكر في الحراسة أن حديراً جد بنى حدير ذوى الشرف والرياسة من موالي بنى أمية[٣٤٤]كان بواباً على باب السُدة من أبواب القصرالأموي بقرطبة وكان له زميل يعرف بابن

(٣٣٩) ابن القوطية: تاريخ، ص٩٣.

(٣٤٠) النويري: نهاية، ج٢٣، ص٣٧١

(٣٤١) المصدر السابق، ص٣٧٤، ابن الأثير: المصدر السابق.

(٣٤٢) السفر الثاني، ص١٦٥.

(٣٤٣) المصدر السابق، ص٢٩٧.

(٣٤٤) عن حدير وأسرته وشرفهم راجع صلاح عيد: موالي بنى أمية، ص٩٤-٩٦.

نادروكانا لهما قصة مع الحكم الربضى عند هيج أهل قرطبة[٣٤٥] أفضت إلى ارتفاع حدير وذريته في المكانة السياسية والاجتماعية وانخفاض ابن نادر وذريته وتدنى مكانتهم وانقطاع ذريتهم[٣٤٦] ومن البوابين الحشم في عهد الحكم الربضى غيث عتيق الأمير وكان من الخرس يعمل بواباً على باب الجنان من أبواب القصر[٣٤٧].

ومما يؤكد لنا حرص بنى أمية على انتقاء أولئك البوابين واختيارهم من وجوه الحشم المجموعات التي كانت تختارللقيام بمهام خاصة في الحراسات ونذكر في ذلك أن الناصر لدين الله لما أنزل رسل صاحب القسطنطينية بمنية ولى العهد المستنصر بعدوة قرطبة من الربض، منعهم من لقاء الخاصة والعامة جملة ورتب لحجابتهم رجال تخيروا من الموالي ووجوه الحشم فصيروا على باب قصر هذه المدينة سبته عشر رجلاً لأربع دول لكل أربع دول منهم دولة"[٣٤٨] وقد كان هؤلاء البوابون وجماعاتهم المتداولة للحراسة يحضرون في عهد الحكم المستنصر الاحتفالات العامة والخاصة للخلافة ظاهرين بملابسهم وأدواتهم الحربية لابسين القلانس بما يميزطبقاتهم في الحشم الخلافي.[٣٤٩]

---

(٣٤٥) ملخصها أن الحكم قبض على نعض الصالحين وجعلهم في حبس الدويرة واستدعى حديراً وقال له إذا أتى الليل فادخل على هؤلاء المشايخ السوء واضرب رقابهم فأبى فانتهره وعزم عليه فلم يجبه فأمر بإخراجه وإدخال ابن نادر صاحبه فنفذ ذلك على يديه. راجع ابن القوطية: تاريخ، ص٧٢-٧٣.

(٣٤٦) المصدر السابق، ص٧٣.

(٣٤٧) الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين، ص٢٦٣.

(٣٤٨) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٦٧.

(٣٤٩) راجع ابن حيان: المقتبس ت الحجي، ص٥٠، ١٩٧-١٩٨.

وسار المنصور بن أبى عامر على سيرة بنى أمية في الحراسة وما كان أحوجه إليها في ظل تعديه على الجميع من بنى أمية وغيرهم من أهل الدولة خواصهم وعوامهم فلذلك ابتنى مدينته الزاهرة[٣٥٠] وحصنها ثم جعل في أسوارها "الحجر للغلمان والسقائف للحراس" من أجل حراستها وتأمين نفسه.[٣٥١] ولاشك أنه تأثر جداً بتلك المنظومة الكبيرة من الترتيبات الكثيرة في الحراسة لأولئك الحشم التي وضعها الخلفاء ومن قبلهم الأمراء وساروا فيها بدقة في توزيع الأدوار، بما يؤكده كذلك محاولات ملوك الطوائف السير عليه فيذكر أن مؤسس دولة الجهاورة بقرطبة أبا الحزم جهور "رتب البوابين والحشم على أبواب القصور الخلافية على ما كانت عليه أيام الدولة مع أنه لم يتحول إليها عن داره".[٣٥٢] وتظهرأهمية أولئك البوابين كذلك في أوقات الحفلات العامة وفي

(٣٥٠) الزاهرة: مدينة ملوكية حاكى بها المنصور محمد بن أبى عامر الناصر لدين الله الذي بنى الزهراء فبنى مدينته هذه على ضفة الوادى في الجهة الشرقية من قرطبة في مكان معرفة ببالش، ثم انتقل إليها سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م، فأحلها بعد استبداده بالخليفة هشام المؤيد محل مدينة الزهراء فصارت مركز السلطة ومكاناً للإدارة والاحتفالات الرسمية ومدار الدولة كلها ،عن الزاهرة راجع ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٧٥-٢٧٧، الحميري: الروض، ص٢٨٤، المقري: نفح، ج١، ص٥٧٨، ٥٧٩، سالم: قرطبة، ج١، ص٢٥٨

Castejon: Cordoba p 325 , T. Balbas:, Al madina al zahira, la Ciudad de Al manzor, en Al Andalus vol XXI 1956, p.353-359,Ocana jimenez: Al madina A Zahira, en Al Mulk, No 4, 1964-65 pp.65 FF., J. Vallve; La Divislon pp.260-262.

(٣٥١) ابن الخطيب: تاريخ، ص٦٢.

(٣٥٢) راجع ابن الأبار: الحلة، ج٢، ص٣٢، المراكشي: المعجب، ص٦٤، النويري: المصدر السابق، ص٤٣٩.

أوقات الحرب، فلما أقام المأمون بن ذى النون الإعذار الزنوني الشهر[٣٥٣] وجاءت أفواج الناس إلى باب القصر استقبلهم البوابون وأنزولهم عن دوابهم وأذنوا لهم بالدخول على مراتبهم ليمشوا إلى مكان الحفل وقد حفهم سراة الصقلب الخصيان وخواص الحشم والغلمان حتى يجلسوهم[٣٥٤] ،وأثناء النزاع بين العباديين وبنى حمود، سد أبواب مدينة قرمونة التابعة للحموديين حشمهم من السودان وأخر ذلك استيلاء العباديين عليها [٣٥٥] .

ومن المنشآت العامة ذات الأهمية التي قام أجناد الحشم بحراستها وضبط أبوابها السجون، وفي قصة بزيع مولى عبد الرحمن بن معاوية ما يدل على ذلك إذ كان مسجوناً عند هيج الربض في عهد الحكم بن هشام وأحس بواجبة تجاه مواليه في الزود عنهم، فعاهد حراس السجن والبوابين على إطلاقه حتى يقوم بهذا ثم يعود إلى قيده، فسمح له البوابون وأوفى لهم بعهده معهم وردوه إلى قيده، ولما أنهى البوابون خبره إلى الحكم أطلقه من سجنه.[٣٥٦]

٢- دور أجناد الحشم في الحروب والمنازعات الداخلية في العصر الأموي

(٣٥٣) وبنى ذى النون من ملوك الطوائف حكموا طليطلة وبلغوا من البذخ والترف الغاية ودلالة ذلك هو هذا الإعذار الذي ضرب به المثل عند أهل المغرب وهو عندهم بمثابة عرس بوران عند أهل المشرق، راجع من الإعذار وأسرة بنى زنون ابن بسام الذخيرة، ق٤، م١، ص١٢٨ وما بعدها، ابن الخطيب: تاريخ، ص١٧٨ وما بعدها. ابن سعيد المغرب، ج٢، ص١١-١٤ المقري: نفح، ج١، ص٤٤٠.

(٣٥٤) ابن بسام: الذخيرة، ق٤، م١، ص١٢٩.

(٣٥٥) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص١٣٧.

(٣٥٦) ابن حيان: السفر الثاني، ص١٥٢.

قبل أن نبدأ في رصد وبيان دور الحشم في الحروب الداخلية والمنازعات وكذلك في الجهاد ضد نصارى الشمال يجب أن نقرر أن هؤلاء الحشم لعبوا دوراً محورياً في كل الأحداث والوقائع الحربية في الأندلس نظراً لكونهم أساساً متيناً من أسس الجيش الأندلسي وإن فات جماعة منهم الاشتراك في غزوة أو واقعة اشتركوا في أخرى حتى وإن لم جهل هذا الدور، ولكننا هنا سنكتفي بذكر الوارد صراحة في المصادر بشأن اشراكهم ودورهم في الحروب والمنازعات ذاكرين الأمثلة الصارخة، خصوصاً وأن بعض مصادرنا جاءت بروايات ذكرت دور الحشم صراحة وأخرى سكتت عنه في أحداث ووقائع بعينها فيروى على سبيل المثال ابن حيان[٣٥٧] روايتين عن غزوة مونش سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م التي غزاها الناصر لدين الله إلى دار الحرب إحداها عن الرازي والأخرى عن عريب بن سعد فلم يذكر صاحب الراوية الأولى أي دورعن الحشم في حين ذكر عريب صاحب الثانية دور الحشم في الإعداد لهذه الغزوة وكذلك إشتراكهم فيها وهو ما يثبت قطعاً دور أجناد الحشم الأساسي في كل العمليات الحربية وإن لم تذكرها المصادر والتي يصعب تتبعها جميعاً في هذا البحث ويكفينا للدلالة ذكر بعضها من أجل إثبات شيئين الأول: دورهم المحوري العسكري في الأندلس والثاني: إثبات إخلاص أجناد الحشم للحكام ورصد ثمار هذا الإخلاص، تلك التي عبر عنها ابن حيان[٣٥٨] في تعليقه على تغلب الحكم الربضى على مشاكله الداخلية بجهود أولئك الأحشام بقوله "فأتته الرعية من ذلك ما ورثه أبناءه وانغضت عنهم الأبصاروخضعت لهم الرقاب وربوا رعيتهم تربية العبيد فحصلوا في دنياهم على عيش مجيد".

---

(٣٥٧) راجع المقتبس ت شالميتا، ص١٥٩ وما بعدها.

(٣٥٨) السفر الثاني، ص١٦٥.

فأجناد الحشم كانواعدة لعبد الرحمن الداخل في التغلب على جميع الثورات التي قامت ضده في سبيل القضاء على الإمارة الوليدة نذكر منها على سبيل المثال أن أجناد من الحشم البربري من بنى وانسوس وبنى ميمون وبنى الخليع[٣٥٩] لعبوا الدور الأبرز في القضاء على ثورات اليمنية بإشبيلية وغرب الأندلس إذ اعتمد عليهم الداخل كجند مقاتلين ولما رأي ما هاله من أعداد البربرمع أولئك اليمنية استخدم حشمه هؤلاء في مخاطبة إخواتهم من البربر مع اليمنية إعمالاً للحيلة في تفريق هذه الجموع فيذكر ابن القوطية[٣٦٠] أنه لما دنا من معسكرعبد الغافر اليماني زعيم الثوار سمع كلاماً بالبربرية فجاء بمواليه من بنى وانسوس وبنى الخليع فقال لهم: خاطبوا بنى عمكم وعظوهم وأعلموهم أنه لو تغلب العرب وقطعوا دولتنا فلا بقاء لهم معهم فلما أظلم الليل دنوا من العسكر وخاطبوهم بالبربرية فأجابوا إلى ما أحبوا ووعدوهم ثم انحرفوا عن عسكر اليماني ووقعت الهزيمة على عبد الغافر واليمنية، ويذكر صاحب أخبارمجموعة[٣٦١] أن من استعان بهم عبد الرحمن من حشمه من البربر كان بنى ميمون وأنهم هم الذين كاتبوا إخوانهم من البربر مع عبد الغافر وحيوه بن ملامس الحضرمى ووعدوهم على لسان الأمير عبد الرحمن بحسن رأي الأمير فاتصلوا بهم فقال لهم البربر إنا سننهزم غداً بالناس إذ نشبت الحرب فليبق علينا، فلما كانوا من الغد فعلوا ذلك فجروا الهزيمة على اليمنية. وما يدل على

(٣٥٩) وهم جميعاً كانوا موالي لبنى أمية وقد استخدمهم مواليهم في الإدارة والحكم طوال العصرالأموي كغيرهم من اليبونات المولوية، راجع عن هؤلاء البربر، صلاح عيد: موالي بنى أمية، ص٥٧-٥٩، ٦٤-٦٥ على التوالي.

(٣٦٠) تاريخ، ص٥٣.

(٣٦١) ص٩٨-٩٩.

المشاركة الفاعلة لأجناد الحشم في هذه المعارك مع اليمنية ومدى إخلاصهم لمواليهم قصة بزيع الذي اشتراه الأمير بعد أن أبلى بلاءً حسناً في المعركة وأعتقه يقول صاحب أخبار مجموعة[٣٦٢] قاتل ــ أي يزيع ــ فأبلى وأجزأ وظهرت منه نجدة.

ومن المشاهد الكبيرة التي ظهر فيها دورالحشم واقعة الربض[٣٦٣] الشهيرة بقرطبة في عهد الحكم بن هشام، إذ لما حاصر أهل الربض الجنوبي وغيرهم من أهل قرطبة قصر الإمارة وأرادوا الفتك بالحكم ومن معه، نفعته تلك الأجناد الحشمية التي كونها قبل ذلك وجهزها بالسلاح وجعلها مرتبطة على بابه ولذا اتخذ قراره سريعاً وأصدر أوامره رغم صعوبة الموقف وكثرة المحيطين بالقصر الذين وصفوا بأنهم "كالدبا كثرة" [٣٦٤] مستدعياً الأجناد الحشمية من رجالة وفرسان وبدأ يوزع الأدوار يقول ابن حيان[٣٦٥]" وجاءته مواليه وغلمانه وجنده من كل جانب ممتازين عن حزبه متبرئين من عصيانه واجتمع أولياءه عند باب القصرفقوي بهم قلبه بالنهود إلى من سما له من رعيته". ففرق عليهم الخيل والسلاح وجعل أصحابه كتائب ودفعهم إلى القتال[٣٦٦] آمراً ابن عمه عبيد الله بن عبد الله البلنسى فتلم ثلمة في السور وخرج منها بجزء من الجيش الحشمي وأتى أهل الربض من وراء ظهورهم بعد أن اشعل النارفي بيوتهم

---

(٣٦٢) ص٩٩.

(٣٦٣) المقصود بالربض هنا هو الربض الجنوبي من قرطبة أي جنوب الوادي الكبير وهو المعروف أيضا بربض شقندة.

(٣٦٤) ابن الأبار: الحله، ج١، ص٤٦.

(٣٦٥) السفر الثاني، ص١٤٠.

(٣٦٦) النويري: المصدر السابق، ص٣٧١. ابن الأثير: المصدر السابق، ص٤١٤.

بالربض[٣٦٧] وقابلهم الحشم في القصرمن الأمام ويذكر المراكشي[٣٦٨] في تساند الحشم من الأمام والخلف وإحاطتهم بأهل قرطبة" وذلك أنهم ــ أي أهل الربض ــ كان يقاتلون القصروعامة الحشم والجند يشغلونهم إلى أن دهمتهم الخيل من ورائهم فانهزموا وقتلوا قتلاً قبيحاً"،حتى من كان في الحبس من الحشم تشوف إلى الحرب والقتال فظهرت شجاعة بزيع مولى عبد الرحمن الداخل سابق الذكر ــ مرة أخرى ــ إذ كان في الحبس لشيء أخذ عليه فلما رأي القتال ألح على البوابين في إخراجه للقتال لتأدية حق مواليه والزود عنهم فأذنوا له شرط أن يعود بعد القتال فأطلقوه من قيده وأحضروا له فرساً من دارالخيل فاستوى عليه وشد على نفسه واندخل في كتيبة من المماليك أصحابه وهم مع المغيرة بن هشام أخو الأميرالحكم وهم صالي الحومة فأبلى بلاءً حسناً لم يبله أحد وحمّى معه المماليك فاثخنوا للقتل في العامة[٣٦٩]، فلماهزم أهل الربض عاد بزيع إلى الحبس كالأسد الهصور مخضباً بدمائه فرده البوابون إلى قيده، ولما علم الحكم بذلك أطلق حبسه ورضى عنه واختصه وأحسن إليه[٣٧٠] .

ويجسد لنا دور الحشم الرئيسي في هذه الواقعة ما روى من أنه لما دارت المعركة "واستعر القتال غشى الحشم أهل قرطبة والربض[٣٧١] "وتكاثرت

(٣٦٧) ابن الأثير: المصدر السابق، ص٤١٤، ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٧٦، النويري: المصدر السابق،

(٣٦٨) المعجب: ص١٣١.

(٣٦٩) ابن حيان: السفر الثاني، ص٥١-١٥٢.

(٣٧٠) المصدر السابق، ص١٥٢ راجع كذلك النويري: نهاية، ج٢٣، ص٢٧٢.

(٣٧١) ابن القوطية: تاريخ، ص٦٩.

عليهم الحشم"[٣٧٢] عندئذ عرفوا سوء العاقبة والهزيمة المحققة فنادوا بالطاعة وسألوا الأمان، فأعطاهم الحكم الأمان شريطة الخروج من قرطبة والأندلس فتم ذلك[٣٧٣] .

وإذا كان الحشم قد اشتركوا في القضاء على هذه الثورة إخلاصاً للحكم وبنى أمية فإنه وفي ضوء ما أورده المؤرخون أن هناك دافعاً آخر للجند في حرب أولئك العامة إلا وهو سوء العلاقة بين هؤلاء المماليك والعامة إذ أسيىء إليهم كثيراً من جانب العامة ومن ثم وجدوها فرصة للأخذ بحقهم منهم يقول ابن حيان"[٣٧٤] كان أكثر أهل الربض الأكبر بعدوة النهر الذين أهاجوا الفتنة الكبرى المسمون إليه سواقاً طقاماً جهالاً أجلافاً أولى استخفاف بالسلطان وجرأة عليه. ولا يزالون يتسلطون على غلمانه العجم وجنده الحشم ويعرضون لهم في الأندية ويسمعونهم القبيح" .

ولم تكن واقعة الربض الوحيدة في عهد الحكم الربضي التي اشترك فيها الحشم فرساناً ورجالة بل لعب فرسانهم المرتبطين بباب القصر دوراً كبيراً في إخماد العديد من الثورات وقضوا على رءوس الفتن في الكور والأقاليم بعيداً عن العاصمة قرطبة وما أعدهم للحكم إلا لذلك إذ "صيرهم عدة فيما يطرقه من خطوبه يبادر بإنهاضهم لحينه في ليله ونهاره من غير تمكث ولا تؤده"[٣٧٥] و"جعل فرسانهم على خيولهم مستعدين لتكون معدة قائمة لما عسى أن يفجأ من

---

(٣٧٢)ابن حيان: السفر، ص٣٦٣.

(٣٧٣)راجع ابن الأبار: الحله، ج١، ص٤٥، ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٧٢، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤١٤، ابن سعيد: المغرب، ج١، ص٤٢، النويري: نهاية، ج٢٣، ص٣٧٢.

(٣٧٤).المصدر السابق، السفر الثاني، ص١٦٩

(٣٧٥) ابن حيان: السفر الثاني، ص١٦٥.

أمر يفزع إليه بها فإذا كانت حركة كانوا كـنفس واحـدة"[٣٧٦] فكـان أول مـا استخدمهم الحكم خارج قرطبة في تتبع عمه سليمان بن عبد الرحمن بعد أن هزم أمامه[٣٧٧] وفر إلى ماردة[٣٧٨] إذ أخرج الحكم في طلبه أصبغ بن وانسوس فـي برابرته ثم عضده بالعباس بن عبد الله القرشي المرواني في سبعمائة فارس من نخبة مدينته من العرافات وصفوفها، ولما علم العم سليمان بذلك سلم نفسه لأصبغ بن وانسوس خشية أن يقع في يد أحد من حشم الأمير[٣٧٩] مما يدلنا على أنهـم كانوا سيف انتقامه يسلطه على من يشاء من مخالفيه. ولما أتاه الخبر بأن جابربن لبيد محاصر بجيان[٣٨٠] دعا الحكم بأحد العرفاء فمثل بين يديه فأسرإليه بالخروج إلى جيان في عرافته ولا يعلم أحد وجهته ، فلمامضت ساعة دعـا بثـان مـن عرفائه فأسر إليه بمثل ذلك، ثم دعا بعشرة فخرجوا متتابعين لا يعلم أحد مـنهم

(٣٧٦) أخبار مجموعة، ص١١٨.

(٣٧٧)ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٧٠.

(٣٧٨)ماردة (Merida): إحدى مدن كورة بطليوس وتقع إلى الشرق منها على الضفة الشمالية لنهر وادي آنه Gaudiana في بسيط أخضر وافر الخصب تبعد عن بطليوس نحو أربعين كيلو مترا، بها آثار رومانية وإسلامية كثيرة استولى عليها النصارى سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٩٩م للمزيد راجع ياقوت: معجم ج٥، ص٣٨-٣٩، الحميـري: الـروض ص٥١٨-٥١٩، الرشـاطي: المصدر السابق، ص٥٤، ١٥٩. عنان: الآثار، ص٣٨٠ وما بعدها.

(٣٧٩) ابن حيان: السفر الثاني، ص٩٥.

(٣٨٠) جيان(Jaen):مدينة وقاعدة لكورة كبيرة في الأندلس حملت نفس الاسم تمتد أحوازها في جنوب المنطقة السهلة على ضفة الوادي الكبير وهذه البقعة خصبة ذات خضرة وغابـات زيتون وصفت بأنها أشرف الكور وهي الآن عاصمة لولاية أيضاً تحمل نفس الاسم وقـد استولى عليها النصارى سنة ١٢٤٦م بعد معاهدة صلح بين محمد بن الأحمـر وفرنانـدو الثالث ملك قشتالة سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م راجع عن المدينة قديماً وحديثاً: ياقوت: معجم، ج٢، ص١٩٥، الحميري: الروض، ص١٨٣، عنان: الآثار الأندلسية، ص٢٢١-٢٢٧.

بقصد صاحبه حتى تساقطوا على ابن لبيد في اليوم الثاني من لدن أصبح حتى الليل فلما رأي ذلك أعداؤه سقط في أيديهم وظنوا أنهم قد أحيط بهم فولوا منهزمين من وقتهم فاستباحتهم الخيل وأصابت عسكرهم وأتت برؤوسهم للحكم في اليوم الثالث.(٣٨١)

ولما كتب إليه عامله على ماردة بخروج أحد البربرثائرا ويستأذنه في حربه دعا الحكم بأحد العرفاء وهو لا يعرف بما كتب إليه العامل فدخل عليه وهو قاعد على كرسي في سكون ودعة في بعض الصحون فقال له أمجتمعون أصحابك قال له: نعم أكرم الله الأمير. قال أتعرف فلاناً قال: نعم قال فأتني برأسه وإلا والله فرأسك مكانه، فلما وليت ناداني فانصرفت إليه فقال إني غير مبارح مقعدي هذا منتظراً لك فتعجبت من تأكيده على وتحذيره لي وخرج من فوري حتى قدمت على الثائر فوجدته متحرزاً صعب المرام. فكدت أهم بالانحلال عنه فإذا بى تذكرت قوله: إلا فرأسك مكانه، فلم أجد بداً من مناجزته حتى أظفرني الله به(٣٨٢) فقدمت عليه برأسه في اليوم الرابع فوجدته قاعداً في مكانه الذي فارقته فيه لم يقم عنه بعد مفارقتي إياه إلا لوضوء أو لصلاة.(٣٨٣) هكذا انتفع الحكم بقوات أجناده من الحشم الذين أعدهم للخطوب التي قد يتعرض لها وأقر هو بذلك وهو يوصى ابنه الوصية الأخيرة بحشمه وأشياعه وقرابته قائلاً "يا بنى إني قد وطدت لك وذللت لك الأعداد وأقمت أود الخلافة وأمنت

---

(٣٨١) راجع أخبار مجموعة، ص١١٨. راجع هذا الخبر باختصار ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٧٦.

(٣٨٢) أخبار مجموعة، ص١٢٠. النويري: المصدر السابق، ص٣٧٤.

(٣٨٣) أخبار مجموعة، ص١٢٠، ويذكر النويري: أنه أحسن إلى هذا القائد وأكرمه ووصله وأعلى محله راجع :المصدر السابق.

عليك الاختلاف والمنازعة فأجر على ما نهجت لك من الطريقة"[٣٨٤] فسار الأمير عبد الرحمن على نهجه في الاهتمام بالحشم وانتفع بهم هو وذريته في إقرار الأمن وتوطيد الملك فقد استخدمهم عبد الرحمن الأوسط في القضاء على قليل الثورات التي قامت ضده في أول عهده وكانت من جراء آثار ممارسات والده المتشددة مثل ثورة أهل إلبيره[٣٨٥] وما تلي ذلك من زحفهم جنوب قرطبة وحدوث واقعة بالش القريبة منها إذ لما تسامع أهل الكورعن خبر مقتل ربيع القومس أو الشر على يد عبد الرحمن نفسه قدموا من كل النواحي إلى قرطبة مؤتمين بالبيعة سائلين المطالب المشتطة وكان أسواهم تناولاً وأشدهم فيها إعتساقاً أهل إلبيرة فإنهم أتوا إلى قرطبة في خلق كثير يشكون ثقل مغارمهم وما زاده عليهم ربيع القومس من مغارم بل يطلبون الأموال التي ظلموا فيها ظنا منهم أنها سترد إليهم([٣٨٦]) وحطوا رجالهم ببالش وأرسلوا في تنفيذ مطالبهم بأسرها ويشترطون لذلك شروطاً واشتطوا في ذلك حتى ضجوا وساءت آدابهم وانبسطوا فأرسل إليهم الأمير عبد الرحمن غلمانه من الفرسان الخرس لتفريقهم فأبوا وسبوهم ثم أعلنوا الخلاف وشهروا السلاح على الحرس ودافعوهم[٣٨٧] فأرسلوا إلى الأمير عبد الرحمن يستأذنونه في البسط عليهم فكره الأمير ذلك ورام تسكينهم فلم يسكنوا بحال فسرح عليهم عند ذلك الحشم فوطؤهم سريعاً

(٣٨٤) ابن حيان: السفر الثاني، ص٢٢٩.

(٣٨٥) البيرة (Alvira) كورة-كبيرة ومدينة جليلة، متصل أحوازها بأراضي كورة قبرة من القبلة والشرق من قرطبة بينها ومن قرطبة تسعون ميلاً (١٤٤كم) وأراضي الكورة كثيرة الأنهار والأشجار وأهم مدن هذه الكورة مدينة غرناطة، راجع ياقوت: معجم، ج١، ص٢٤٤.

(٤) النويري : نهاية ،ج٢٣، ص٣٧٥.

(٣٨٧) ابن حيان: السفر الثاني، ص٤٠٩-٤١٠.

وفضوهم وأعملوا فيمن وقف منه القتل وذلك في سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م[٣٨٨] وفيماعدا ذلك عاش الأمير عبد الرحمن في أمن واستقرار دائمين بقية حياته متفرغاً لبناء الأندلس حضارياء وبعد وفاته مباشرة ساءت أحوال الدولة ودخلت في حمأة الفتنة وتغيرت فيها الأحوال وقلت فيها الأموال حتى أخذ الأمراء الأواخر الذخائر المدخرة من الأول للأيام فقلت عندهم الأجناد ووصلت الأزمة أقصاها في عهد الأمير عبد الله يقول النويري"[٣٨٩] وكانت في أيامه فتن عظيمة.. حتى لم يبق في يده إلا مدينة قرطبة وحدها .. وقلت رجال الأمير عبد الله بن محمد وذهب من كان يصول به هو وأباؤه من مواليهم وأصحابهم وقلت الأموال في يده لخروج أهل المدن وإمتناعهم عن أداء الخراج إليه.. وكان خراج الأندلس المؤدى إلى آبائه ثلاثة آلاف دينار.. يدخرون مائة ألف منها فلما أمتنع أهل الأندلس عن أداء الخراج رجعوا إلى تلك الذخائر ينفقونها واتصلت عليهم الحروب خمس عشره فنفذت ذخائرهم واحتاجوا للقروض، وما ذلك إلا للفتن التي عصفت بدولتهم وكانت كقطع الليل المظلم على ولاة الأمر من بنى أمية" ومع أن النص السابق يعطى صورة قاتمة من أحوال الأندلس عامة والجيش الأندلسي خاصة في عصر الفتنة ويوحي بأن جنود الإمارة عامة والحشم خاصة قليلة لاغناء فيها ولا اعتماد عليها لا تستطيع أن ترد عدو أو تقضي على فتنة، إلا أن الأخبار المستفيضة عن أحوال الفتنة وأحداثها تعطى الأجزاء الأخرى من الصورة وبالذات يتعلق بأجناد الحشم الأموي الذين كانوا في ذلك الوقت في ضوء نص النويري قد انقرضوا أو تفرقوا بسبب ضعف الإمكانات المادية، ولكن مع متابعة الأحداث من المصادر قريبة العهد من هذا العصر وجدنا حضوراً

(٣٨٨) المصدر السابق، ص٤١٠.

(٣٨٩) المصدر السابق، ص٣٩٥-٣٩٦.

مستمراً لأجناد الحشم وإستمرارمسيرتهم في العطاء مع مواليهم وصبرهم أمام هذه الأحداث بطريقة لم نجدها حتى في أيام القوة والازدهار لدولة بنى أمية وذلك رغم مصابهم في العديد منهم والفتنة المستولية والضائقة المالية. وذلك في رأينا لأن دور أولئك الأجناد لا يتجلى إلا في أوقات الحرب والشدائد لا في أوقات السلم والاستقرار ومن هنا فرضوا أنفسهم على الأحداث، فبرز دورهم في أغلب المعارك التي دارت بين بنى أمية وخصومهم من ثوار الفتنة. ليتضح لنا في النهاية الإسهامات الحقيقية لهؤلاء الأجناد من الحشم في حفظ هذه الدولة عرفاناً بجميل ساداتهم وهو ما لوتتبعناه لطال الحديث ولكن سنأخذ لذلك أمثلة بارزة دالة على هذه الإسهامات. ففي عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) أخرج الأمير إلى شندلة من عمل جيان قاسم بن العباس وتمام بن أبى المعطاف صاحب الخيل ومعهما الحشم فلما وصلا إلى أندوجر[٣٩٠] خرجت عليهم كمائن أهل طليطلة ووقعت الحرب فانهزم القائدان وأصيب من معهما من المعسكرالحشمى[٣٩١] ،وفي سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م غدر صاحب وشقة[٣٩٢]

(٣٩٠) اندوجر(Andujar) وتكتب كذلك أندوشر وهي مدينة من أعمال كورة جيان Jaen على نهر الوادي الكبير بينها وبين جيان ٤٠كم إلى الشمال العربي، ابن حيان: المقتبس تحقيق مكي تعليق رقم ٤٨٦، ص٥٩١.

(٣٩١) ابن حيان: المقتبس في أنباء بلد الأندلس، تحقيق محمود على مكى، بيروت، سنة ١٩٧٣م، ص٢٩٤، ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٩٤.

(٣٩٢) وشقة(Huesca) مدينة حصينة شمال الأندلس بينها وبين سرقسطة في الثغر خمسون ميلاً وهم مدينة حسنة متحضرة ذات متاجر وأسواق عامرة وصنائع قائمة، كريمة التربة محاطاً بجنات مغروسة وحدائق ثمارملتفة، استولى عليها الإراجونيون سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م راجع الحميري: الروض، ص٦١٢، ياقوت: معجم، ج٥، ص٣٧٧.

عمروس بن عمرمن بنى قسى[٣٩٣] وملكها وظهرت عاديته في الثغرالأعلى فأخرج إليه الأمير القوات من لاردة[٣٩٤] وغيرها وبعث من قرطبة قطيعاً من الحشم والعدة فلما بلغ عمروس ذلك خرج عن المدينة ولكن أسربعض أهله وقتل[٣٩٥] وكان الأمير محمد قد أخرج ابنه المنذر إلى كورة رية لإصلاحها ومعه أهل المعاقد من العرب والحشم فأتم ذلك ولم تثنه وفاة والده في نفس الوقت "عن التعريج عن القصد واختصار الطريق ولا شغله أمر مهم ولا أمر جليل عن آخر"[٣٩٦] من تنفيذ ما أخرج له، ولما تولى الإمارة سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م خرج ومعه الحشم لمقاتلة زعيم ثوار الأندلس عمر بن حفصون الثائر في ببشتر[٣٩٧]

---

(٣) بنو قسي: بيت من البيوت الإسبانية تنسب إلى قسي قومس الثغر الأعلى عندما غزا المسلمون الأندلس وقد أسلم على يدى الوليد بن عبد الملك وانتمى بذلك لولاء بنى أمية وأنجب الرجل ذرية خدمت بنى أمية وحكمت الثغر حتى أوائل عصر الخلافة الأموية عن هذه الأسرة وأفرادها وحكمهم للثغر راجع صلاح عيد :موالي بنى أمية، ص٧٨-٨٠.

(٣٩٤) لاردة (Lerida) :مدينة أندلسية مشهورة تقع في شرق الأندلس على نهر وادي لاردة المشهوربتوافر الذهب فيه وهي شرق مدينة وشقة وهي قاعدة لكورة عرفت باسمها وهي منيعة لها عدة حصون وبساتين وفواكه وقد اشتهرت كورتها بإنتاج الكتان والكروم، سقطت في يد كونت برشلونه وتجار الرابع سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م. راجع ياقوت: معجم، ج٥، ص٧٠، الحميري: الروض سنة ٥٠٧هـ عنان: الآثار، ص١١٤-١١٦.

(٣٩٥) ابن حيان: المقتبس ت مكى، ص٣٢٥، ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٠٠.

(٣٩٦) ابن الخطيب: تاريخ، ص٢٤.

(٣٩٧) ببشتر: حصن أمنع حصون كورة رية يبعد عن قرطبة بثمانين ميلاً وصف بأنه منفرد بالامتناع وواحد في الحصانة والإنقطاع وصخرة صماء من جميع النواحي إذ صعد إليه الإنسان يجده سهلاً منبسطاً فسيحاً من الأرض كثير الكروم والزيتون والرمان واللوز وكان به الكثير من القرى والحصون والديارات (الكنائس) وما حول هذا الحصن كثير الخيرات

من كورة رية فلما هزمه طلب عمر الأمان لنفسه على النزول بأهله وولده إلى قرطبة وشرط أن يدفع له مائة بغل يحملها أهله ومتاعه فأسعفه المنذر بذلك ولكنه عدا على عرفاء الحشم على الخيل وقتلهم وأخذ المائة بغل وعاد إلى سيرته الأولى[٣٩٨].

وإذا انتقلنا إلى عصر الأمير عبد الله الذي تأزمت الفتنة في عهده نجد دور الحشم أبرزمن أي وقت آخر، فلما ألب عمر بن حفصون أتباعه من أهل الكور وحشد أحزابه من أهل الخلاف وأقبل بهم في نحو من ثلاثين ألفاً ونزل بحصن بلاي[٣٩٩]، خرج إليه الأمير غازياً ومعه أربعة عشر ألفاً من جنده وأهل حضرته التي لم يبق له سواها وعدة من حشمه ومواليه في نحو أربعة آلاف وغيرهم من المطوعة فتحارب الفريقان وطال القتال بينهما حتى هزم ابن حفصون ودخل الأمير الحصن سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م.[٤٠٠] وفي الغزوة التي غزاها ابنه الأمير المطرف إلى إشبيلية وشذونة[٤٠١] سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م وكان القائد معه عبد الملك بن أمية الذي قتله الأمير أثناء الطريق بسبب تهاونه بالرجال واستخفافه بحقوقهم وقلة انصافه إياهم[٤٠٢] وأخلفه بأحمد بن هاشم بن

والأشجار والكروم أيضا وجميع الفواكه راجع ابن غالب: فرحة، ص٢٦، ياقوت: معجم، ج١، ص٣٣٣، الحميري: الروض، ص٧٩.

(٣٩٨) النويري :نهاية ،ج ٢٣ص٣٩٣ ،ابن الخطيب :المصدر السابق ص٣١.

(٣٩٩) ابن حيان: المقتبس، ت العربي، ص١٢٦.

(٤٠٠) ابن حيان :المصدر السابق.

(٤٠١) شذونة (Sidona):قاعدة لأقليم حمل نفس الاسم يتصل بأحواز كورة مورور، بحرية برية جامعة لخيرات البحر، وفيها كانت هزيمة لذريق. راجع ياقوت: معجم، ج٢، ص١٣٦، الحميري، الروض، ص٣٣٩، ابن غالب فرحه، ص٢٥.

(٤٠٢) ابن حيان: المصدر السابق، ص١٣٣.

عبد العزيز، كان معه من الحشم أعداداً كبيرة، فأمر قائده الجديد بمخاطبة من معه من الموالي وقريش من وجوه العرفاء وصنوف الحشم وإعلامهم بالأسباب التي من أجلها قتل عبد الملك[٤٠٣]، ولما بلغ الأمير عبد الله ذلك كتب إلى جماعة قريش والموالي فيه ثم بعث بكتاب خاص إلى العرفاء من الحشم يكشف الخبر عن عبد الملك القائد وسبب قتله بما ينم عن أهميتهم في الجيش وثقة بنى أمية بهم.[٤٠٤] ،على كل حال سارالأمير في غزوته التي أسهم فيها الحشم بإسهامات بارزة وخاصة عند افتتاح مدينة إستجة[٤٠٥] وبها الثائرطالب بن مولود[٤٠٦] الذي هرب إليه مجموعة من عسكر الأمير فغضب لذلك الحشم ووقعت بينهم هيعة بسبب ذلك ونفرة شديدة ولكن هدأهم القائد ابن هاشم وسكن نفوسهم ثم حرضهم على وطأ البلد فخرج بهم وقد حميت أنوفهم فهزموا طالباً ومن معه وأجبروه

---

(٤٠٣) نفسه.

(٤٠٤) نفسه.

(٤٠٥) استجه (Ecija):مدينة تقع على وادي شنيل إلى الجنوب العربي من قرطبة بينها وبين إشبيلية، تبعد عن قرطبة بنحو اثنين كيلو متر، ولها أقاليم خمسة تابعة لها، أما المدينة فهى واسعة لها أراضى ذوات أسواق عامرة وفنادق جمة وهي كثيرة الفواكه والثمار والبساتين والزرع متوفر، وقد استولى عليها النصارى سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م عن المدينة قديما وحديثا راجع الإدريسي: صفة، ص٢٠٥، ياقوت: معجم، ج١، ١٧٤، ابن غالب: فرحة ص٢٦، الحميري: الروض، ص٥٣، عنان: الآثار، ص٧٦-٧٩.

(٤٠٦) من الثائرين بوادي الإبرو في أستجة وشذونه وموروروذلك تنقل في عدة حصون في هذا المتسع وكان يهزم من الجيوش القرطبية حتى ألجأوه إلى حصن أقواط بشذونة فاستأمن ولكن عاد إلى الخلاف في موروروحيث قتل هناك سنة ٢٨٧م على يد القائد أبو العباس أحمد بن أبي عبده راجع ابن حيان: المصدر السابق، ص١٣٤، ١٥١.

على طلب الأمان فناله من الأمير بعد الهزيمة[٤٠٧] وفي سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م دخل القائد أحمد بن محمد بن أبي عبده حصن قنبيط من كورة تاكرنا[٤٠٨] بمن معه من حشم السلطان وولى عليه من قبل السلطان والياً بعد أن استنزل من فيه من بني الخليع الثائرين[٤٠٩].

وما إن تولى عرش الإمارة عبد الرحمن بن محمد سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م إلا واستجد عزم بني أمية في القضاء على الثائرين واستبشر الناس بالأمير الجديد خيراً[٤١٠] والذي أجهد نفسه في إعادة تكوين الجيش بحيث يكون قوياً يستطيع به مجابهة أولئك الثوار ونجح في ذلك مهدداً به أولئك الثوار إن لم يأتوه طائعين ووعد من يأتيه طائعاً بالخير[٤١١] وكان صدوقاً فيما يقول وأتت سياسته هذه أكلها مع الثوار يقول ابن عذارى[٤١٢] تعبيراً عن ذلك "تولى الأندلس وكانت جمرة تحتدم ناراً تضطرم شقاقاً ونقاقاً فأخمد نيرانها وسكن زلازلها وغزا غزوات كثيرة" كان عدته الأساسية فيها حشمه الذين أسهموا بقسط وافر بإطاعة أوامره في سبيل تسكين الأندلس وإقرار أمنها وتوحيدها تحت سلطان بني أمية مرة أخرى فكان أول فتوحه سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م إنتصاره على

---

(٤٠٧) المصدر السابق، ص١٣٤.

(٤٠٨) تاكرونا(Tacrrona): مدينة بالأندلس بالقرب من أستجة وهي عاصمة كورة كبيرة عرفت باسمها أيضا والكورة ذات جبال حصينة وأنهار عديدة ومن أشهر مدنها مدينة رندة راجع ياقوت :معجم،ج٢ص٧،الحميري :الروض،ص١٢٩

(٤٠٩) راجع ابن حيان: المصدر السابق، ص١٦٤، ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٤٢.

(٤١٠) ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٥٨.

(٤١١) راجع ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص٥٨، ٦٢، ٦٣..الخ.

(٤١٢) المصدر السابق، ص١٥٧.

فتح بن ذى النون[٤١٣] الذي نقض العهد وخلع البيعة في قلعة رباح[٤١٤] ومعه ظهيره محمد بن إدريس الرياحى فأرسل إليه الناصر القائد عباس بن عبد العزيز القرشي بالحشم فدارت بينهما الحرب الشديدة إنجلت عن هزيمة فتح وقتله وجملة من رجاله ثم أرسل القائد برأسه إلي الناصر فرفعت بقرطبة وكانت أول رأس من المعاندين ترفع بقرطبة[٤١٥]

كما شارك الحشم في افتتاح أول مدينة وهي إستجة القريبة من قرطبة والتي كانت وأهلها شديدى الوطأة على قرطبة لذا قيل" أنها أشجي غصصها أي قرطبة وكان أهلها من الشقاق والنفاق والأشر والبطر ما لا شيء فوقه"[٤١٦] فاستقبلها الناصر لأول قيامه" بعزمه وأمها بجده وحزمه "فجرد إليها بدر بن أحمد مولاه وصاحبه في العدد الكبيرمن الأجناد وعهد إلى القائد أحمد بن محمد بن حدير القائد بموافاة الحاجب من المكان الذي فيه فيمن معه من الحشم ففعل واستطاع العسكران أن ينزلوا أهل المدينة على الصلح.[٤١٧]

---

(٤١٣) هو الفتح بن موسى بن ذى النون من الخارجين على الأمير عبد الله سيراً على طريقة أبيه فخص نفسه بحصن اقليش وما حوله وامتنع بها وأنهك بغاراته أهل طليطلة حتى أنهى أمره الناصر لدين الله. راجع ابن حيان: المقتبس ت العربي، ص٣٤، ابن الأبار: الحلة، ج١، ص٢٣٠.

(٤١٤) قلعة رباح: مدينة حصينة بين قرطبة وطليطلة على نهر آنه وهي محدثه أيام بنى أمية وحصنها الأمير محمد سنة ٢٤١م وزاد في مبانيها ونقل الناس اليها، راجع الحميري: الروض، ص٤٦٩.

(٤١٥) ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص٥٤.

(٤١٦) المصدر السابق، ص٥٥.

(٤١٧) نفسه.

وفي سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م. لما تقدم زعيم الثوار عمر بن حفصون من إشبيلية أجاز النهر وقصد حصن قبره[٤١٨] بمن فيه من أهل الطاعة وحشم السلطان الذين بعثهم الناصر من قرطبة وعليها محمد بن إبراهيم بن الحجاج وقاسم بن وليد بن الكلبي فحاربهما فهزمه القائدان بمن معهما من الحشم وتبعاه حتى أدخلاه حصنه ببشتر[٤١٩] ،وفي نفس العام غزا الناصر بالصائفة إلى أهل الخلاف متجولاً على الكور ساعياً لعصاة الجماعة وكان القائد معه صاحبه بدر بن أحمد حتى وصلا إلى حصن ببشتر ونازل الخبيث عمر بن حفصون[٤٢٠] ومن هناك أرسل الخيل إلى حصن شنت باطر[٤٢١] فلما أحس أهله بذلك خرجوا من الحصن هاربين عنه وأسلموا ما كان من أقواتهم وأثاثهم فغنمه الحشم[٤٢٢] ولما انتقل العسكر إلى حصن طرش وكان عمر بن حفصون وأولاده وكماة رجاله قد برزوا للمسير إليه للدفاع عنه فقاتلهم الحشم على بابه قتالاً شديداً واستظهروا عليهم فيه فغلبوهم على ربضه وأحجروهم في قصبته وقتلوا جمله من رجال ابن حفصون ولكن لم يقدروا على فتح الحصن لمنعته.[٤٢٣]

---

(٤١٨) قبرة (Cabra):حصن ومدينة بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً راجع الحميري: الروض، ص٤٥٣. وقبرة أيضا اسم لكورة كبيرة متصلة بأعمال مدينة قرطبة من قبليها وهي أرض زكية، كثيرة الزرع، مخصوصة بكثرة الزيتون انظر ياقوت: معجم، ج٤، ص٣٥.

(٤١٩) ابن حيان: المصدر السابق، ص٧٢.

(٤٢٠) المصدر السابق، ص٨٥-٨٦

(٤٢١) شنت باطر، حصن منيع من أعمال كورة ريّه راجع، ياقوت، معجم، ج٣، ص٣٦٦.

(٤٢٢) ابن حيان: المصدر السابق، ص٨٦.

(٤٢٣) نفسه.

ولما دخل الناصر الجزيرة الخضراء في نفس الغزوة كان في ساحلها لعمربن حفصون وأصحابه عدة مراكب بحرية يسفرونها إلى بلاد المغرب للميرة والتجارات ويقضون بها الحاجات فيتسعون بها أعظم توسعة فأخرج الناصر لدين الله إليهم الحشم لطلبها وأخذها فتم ذلك ثم قيدت السفن والمراكب بأزمتها إلى ضفة البحر وأحرقت جميعها بين يديه(٤٢٤)، وبعد أن أتم الناصر أمر الجزيرة انتقل إلى مدينة قرمونة وبها حبيب بن عمروس بن سوادة صاحب محمد بن إبراهيم بن الحجاج الذي أعذر إليه الناصر فلم يعتذر أو يرتدع واستقود الناصر لحربة من قبل إشبيلية عيسي بن أحمد بن أبي عبده فصير عنده ندباً كثيفاً من الحشم لمغاورتها في كل وقت والتضيق على ابن سوادة ثم قفل الناصر إلى عاصمته.(٤٢٥)

وفي غزوة سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م التي قام بها الناصر إلى جعفر بن عمر بن حفصون المسارع إلى النكث مثل أبيه المتوفى في العام السابق وافى الناصر بلدة(٤٢٦) من عمله ولم تحصد زورعها بعد فتخلف الناصر على حصادها بعض القواد في طائفة من الحشم وأمر ببنيان صخرة عودان(٤٢٧) المشرفة على بسيط بلدة(٤٢٨) ثم تقدم هو ومن معه من الأجناد لحصار المدينة وأخرج من عنده قائده

(٤٢٤) المصدر السابق، ص٨٧.

(٤٢٥) المصدر السابق، ص٩١.

(٤٢٦) بلدة: يعرفها ياقوت(معجم، ج١، ص٤٨٣)، بأنها مدينة في الأندلس من أعمال ريّه وقيل من أعمال قبرة، راجع كذلك ابن محمد الرشاطى وابن الخراط الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، ص٣٦.

(٤٢٧) ضبطه ابن عذارى غوزان راجع البيان، ج٢، ص١٧٣.

(٤٢٨) ابن حيان: المصدر السابق، ص١٤٨.

بدر بن أحمد إلى حصن دوس أمانتش وهو من أقوى حصون عمر بن حفصون وأشدها، فلما غشيته الخيل برزأهله إلى الربض للدفاع عن أنفسهم ووقعت الحرب بينهم وبين الحشم فاستظهرعليهم الجشم حتى أزالوهم عن الربض وأدخلوهم إلى الحصن وحصروهم في قصبته الشاهقة وأضرموا النار في الربض ومافيه من الكنائس ثم أخذوا بمخنق المحاصرين حتى لاذوا بالفرار فأخذوا الحصن.(٤٢٩) ،وأغزى الناصرلدين الله سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩م قائده وحاجبه بدر بن أحمد إلى بُبشتر فحاصرها وأحاط القلعة إحاطة القلادة بالعنق وتناشبوا الحرب مع جعفر بن عمر وأصحابه فاستغلق هو وأصحابه خلف الأسوار وانقبضوا عن أجناد الحشم(٤٣٠)، عندئذ رجع الحشم والجيش لانتساف ما حول الحصن من زروع وقطع الكروم فلم يؤثر ذلك على جعفر وأصحابه فارتد عنهم الحشم ظاهرين وتركوهم خاسئين(٤٣١) وجالوا جولة حول الحصن ثم عادوا مرة أخرى فكان نزولهم أشد وطأة وأنكى مماتقدم حتى أن جعفر أرسل إلى الناصر يبوء بالذنب ويسأله الأمان ويخطب الصلح ويبذل الطاعة ويظهر الاستقامة فقبل منه الناصر وقبض منه توثيقاً لذلك رهينة.(٤٣٢)

وفي ذات العام استأمن عبد الرحمن بن عمر بن حفصون الناصر لدين الله من حصنه المعروف بطرش خشين لما استوحش أخاه جعفرا فأمنه الناصر(٤٣٣)، وسير إليه يحيى بن إسحاق للنظر في شأنه وسير طاعته وأخرج

---

(٤٢٩) ابن حيان: المصدر السابق، ص١٤٨-١٤٩

(٤٣٠) المصدر السابق، ص١٥٣.

(٤٣١) المصدر السابق، ص١٥٤.

(٤٣٢) ابن حيان :المصدر السابق.

(٤٣٣) ابن حيان: المصدر السابق، ص١٥٥.

معه يحيى بن أنتله في جيش ضمه إليه لحماية عبد الرحمن إن أراد الخروج من الحصن إلى الحضرة فنزل يحيى على قائد مالقة عبيد الله بن فهر وقدم يحيى بن أنتله نحو عبد الرحمن في طائفة من الحشم ليعلمه مكان يحيى بن إسحاق ويعرفه بما لديه(٤٣٤) فوصل الحصن بين العشائين والأقفال قد ضربت فاستفتح ففتح له واقتحم الحصن بالحشم ونادى عبد الرحمن بشعار الناصر فأجابه عبد الرحمن وانقاد(٤٣٥) فصحبه القائد إلى يحيى بن إسحاق وأخذ إلى قرطبة فأمنه الناصر وشمله بإحسانه ووسع عليه(٤٣٦) ،أما أخوه سليمان لما ضاقت به الحال كتب إلى عبد الرحمن يطلب الأمان والسلم فأجابه على ذلك وكتب له عهده فلما تأثل نكث وعاد إلى الغدر(٤٣٧) فوالى الأمير عبد الرحمن عليه الجيوش والحشم وأردف القواد حتى وقعت عليه الهزيمة(٤٣٨) ويذكر ابن عذارى(٤٣٩) أنه خرج عن مدينة ببشتر معارضاً لبعض الحشم المغاورين له من العسكر فبادرت إليه الخيل فصرع سليمان من فرسه سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م. وفي سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م استنزل الناصر أخوهما حفص بن عمر الذي كتب إلى الناصر يسأله الأمان فقبل منه وأرسل إليه الوزيران أحمد بن محمد بن حدير، وسعيد بن المنذر وأتما

(٤٣٤)ابن حيان: المصدر السابق، ص١٥٥

(٤٣٥) نفسه.

(٤٣٦) نفسه.

(٤٣٧) ابن الخطيب: تاريخ، ص٣٣.

(٤٣٨) ابن الخطيب: المصدر السابق.

(٤٣٩) البيان: ج٢، ص١٩٢.

إنزاله ودخلا ببشتر ومعهما رجال الناصر وحشمه[٤٤٠]، وبذلك يكون الناصر قد قضى على بني حفصون .

ومن ناحية أخرى وفي إطار الاستمرار في القضاء على بقية المعاندين شارك الحشم في غزوته المشهورة سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م المعروفة بغزوة اشتيبن وهوالحصن الذي حاصره الناصر في هذه الغزوة وطالت الأيام عليه لمنعته واشتد شوق عبدالرحمن إلى ولده المستنصر فعاد إلى قرطبة[٤٤١] وترك لحصار هذا الحصن قائده أحمد بن محمد بن أبى عبده في قطيع من الحشم من جهة ومن الجهة الأخرى درى بن عبد الرحمن مولاه فيمن معه من الرجال والعدة يكافحان هذا الحصن[٤٤٢]، ويذكر ابن عذارى[٤٤٣] أن القائدين كانا سعيد بن المنذر وعبد الحميد بسيل وهما الذين ظلا محاصرين للحصن بمن معهما من الحشم وكانوا في كثيف كبير وبغض النظر عن اختلاف الروايات في القائدين المحاصرين إلا أن تواجد الحشم بأعداد كبيرة حول الحصن مع القائدين الفاتحين أسهم في افتتاحه واستنزال من كان فيه من المعاندين [٤٤٤] . وفي سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م أرسل الناصر قائده أحمد بن محمد بن إلياس لفتح مدينة ماردة وما يليها من بلاد الجوف آمراً إياه أن يستقرعلى تلك الناحية حتى يتم ذلك[٤٤٥] مرسلاً إليه كثيفاً من الحشم والذين اشتركوا في حروب طويلة مع أهل ماردة وحصونها

(٤٤٠) المصدر السابق، ص١٩٥.

(٤٤١) ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص٢٠١.

(٤٤٢) المصدر السابق، ص٢٠١.

(٤٤٣) البيان: ج٢، ص١٩٠.

(٤٤٤) ابن حيان: المصدر السابق، ص٢٠٢.

(٤٤٥) المصدر السابق، ص٢٣٩.

وخصوصاً حصن أم جعفر، الذي استولوا عليه ففر مقدمه ابن عيسى من بنى ورجيل إلى أهل ماردة فتجلدوا وأقاموا على النفور والمعصية والأذي لأهل الطاعة، فتجرد للتضيق عليهم القائد ابن إلياس واستولى أثناء ذلك بحشمه على حصن الحنش من عمل ماردة[٤٤٦] حتى طاش أهل ماردة وخرجوا إلى ابن إلياس لما دنا منهم وناشبوه القتال والحرب لكنهم لم يصمدوا وولوا مدبرين وأتبعهم الحشم يقتلون ويأسرون حتى أدخلوهم قلعة الحنش وقد أصابوا خلقا منهم عندئذ فقط اجتمعوا على طلب الأمان والطاعة للناصر فأجيبوا على ذلك.[٤٤٧]

وكان للحشم دوراً هام في غزاة الناصر لبطليوس[٤٤٨] سنة ٣١٧هـ/ ٣٢٩م ومحاربة الخارج بها عبد الرحمن بن مروان الجليقي، فلما وصلها الناصر في ربيع الآخر من السنة واضعهم الحشم القتال في أفنيتهم وعلى أبواب دورهم وتقحموا عليهم داخل أرباضهم وقتلوا منه جملة وقطعت ثمارهم وبقوا محصورين في المدينة[٤٤٩] وبقى الناصر عليها عشرون يوما ثم رتب عليها والتفت إلى غيرها من مدن الغرب لبطليوس وباجة واكشونبة[٤٥٠] التي

(٤٤٦) المصدر السابق، ص٢٣٩-٢٤٠.

(٤٤٧) ابن حيان: المصدر السابق، ص٢٤٠-٢٤١.

(٤٤٨) بطليوس (Badajoz):مدينة كبيرة من عمل كورة ماردة بغرب الأندلس، وهى مدينة جليلة في بسيط من الأرض وهي على ضفة وادى آنه Guadiana استولى عليها النصارى نهائيا ٦٢٦هـ/ ١٢٢٧م وآثارها الإسلامية الآن واضحة في القصبة والدروب والأزقة راجع عنها الحميري: الروض، ص٩٣، عنان: الآثار: ص٣٧٢-٣٧٩.

(٤٤٩) ابن عذارى: البيان، ج٢، ص١٩٩.

(٤٥٠) اكشونية (Ocsonoba):كورة من كور الأندلس تحتل الركن الجنوبي الغربي من الأندلس من نهر وادى آنه حتى المحيط وقاعدة هذه الكور مدينة شلب. راجع ابن الأبار: الحله السيراء، ج١، ص٩٢

افتتح حصونها وأصاب لصاحبها خلف بن بكر أموالاً وعدة وسلاحاً، فغنم كل ذلك الحشم وأهل العسكر وصار لهم نفلاً.(٤٥١)

ولما غزا الناصر مدينة طليطلة سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٢م بعد إعذارهم على يد فقهاء عصره إذ كانوا "لا يؤدون جباية ولا يلزمون طاعة ولا يتناهون عن منكر ولا معصية فلاذوا بالمخادعة"(٤٥٢) فقدم إليها الوزير سعيد بن المنذر في جيش كبير وعدد جم وأمره بمحاصرتها حتى يلحق به بجيوشه وصنوف حشمه(٤٥٣)، ولما وصلها أرتب محمد بن سعيد بن المنذر على باب القنطرة في جملة من الحشم وعهد إليه بالاستبلاغ من محاربة القوم وكانت النتيجة فتح المدينة(٤٥٤)، ولما عاد إلى قرطبة واستقر بها صنع في سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م لضروب رجاله ومواليه وصنوف أجناده وحشمه مما شاهد معه فتح طليطلة، وليمه كبيرة "فيها صنوف الأطعمة الرفيعة والفواكه الغريبة والطيوب المثمنة" وقد وافق ذلك تطهيره لبنيه الأصاغر عمله في ذات اليوم"(٤٥٥).

وظهر دور الحشم جلياً في افتتاح قلعة أيوب سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م وكان بها ابن شويرب مطرف بن المنذر التجيبي الذي عاند وخلع الطاعة بل واستعان بالنصارى في إلبة والقلاع على المسلمين، فانبسطوا عليهم وآذوهم فقصده الناصر هو وحشمه وحاصره بالقلعة حتى دخلها من أحدى جهاتها ودخلتها بقية

---

(٤٥١) المصدر السابق، ص٢٠٠-٢٠١.

(٤٥٢) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٢٠٢.

(٤٥٣) نفسه.

(٤٥٤) ابن حيان :المصدر السابق ص٣٢١.

(٤٥٥) ابن حيان: المصدر السابق، ابن عذارى: المصدر السابق ص ٢٠٨.

قوات الحشم من الجهات الأخرى[٤٥٦] وتتابع عليه الحشم وأهل العسكر حيثما تنتقل في أرجاء المدينة بما أصابوه من الأسرى والسيوف ثم رتب الناصر القواد على قصبة المدينة حتى طلبوا الأمان فأمنهم[٤٥٧].

وعندما أخرج الناصر الوزيرعبد الحميد بن بسيل إلى لمشكة سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤١م وكان أهلها قد امتنعوا عن أداء الجباية وخرجوا إلى المعصية أخرج معه قطيعاً من الحشم، فلما علموا بخروجه أقلعوا عما هي به ولاذوا بالطاعة وسألوا الأمان ولكنهم استعفوا من عاملهم فأعفاهم الناصر [٤٥٨].

و بعد هذه المجهودات الحربية التي استخدم فيها الناصر أحشام بنى أمية استخداماً كبيراً لحسم علل الأندلس والقضاء على ثوارها،كجند مخلصين تميزوا عن غيرهم كقوات اشتباك أولى تهاجم المدن وتحاصرالحصون وتقتحمها قبل وصول قوة الجيش الرئيسية ويقاتلون في شوارعها وعلى أبواب دورها ومحلاتها[٤٥٩] عاش الناصر بقيه حياته آمناً من شعبه ،مستقراً في ملكه متفرغاً للبناء والتعمير وكذلك للجهاد في سبيل الله حيث اشترك معه الحشم في ذلك كما سنرى. ومع ابنه الحكم المستنصر وفترة الإستبداد العامري إلى أن قامت الفتنة الكبرى البربرية واختلط فيها الحابل بالنابل وأنماع فيها دور الحشم الحربي وضاعت معالمه حتى سقطت الخلافة الأموية وقام ملوك الطوائف ولكن قبل أن نتبع دور الحشم الحربي في عصر ملوك الطوائف في القضاء على الفتن والإشتراك في المنازعات يجب أن نشير إلى أن دور الحشم في العصر

(٢) ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص ٣٩٦-٣٩٧.

(٣) المصدر السابق ٣٩٧-٣٩٨.

(٤) المصدر السابق ٤٨٦.

(١) عبد الواحد زنون: المرجع السابق ص ١٠.

الأموي لم ينته عند هذا الحد في القضاء على الثوار والمعاندين وإخماد الفتن بل أمتد بعد ذلك لحفظ الأمن في المدن المفتوحة والتي كان يخشى الحكام من أهلها على الدولة ولذلك تركهم الأمويون كجند مرابطين فيها أو رتبوهم في المدن الرئيسية للأقاليم المفتوحة من أجل إتمام الفتح فيها وفيما يتبع هذه المدن الكبرى من حصون وقلاع وقرى وهؤلاء لأجناد من الحشم يمكن أن نسميهم في ضوء ما ورد في المصادر باسم "الفرسان المغاورين"(٤٦٠) أي الذين يوالون هذه القلاع والحصون بالغارات حتى تعود إلى الطاعة والخضوع لسلطان بنى أمية، يضاف إلى كل ذلك حرص بنى أمية على شحن المدن الرئيسية في الأقاليم بالحشم مع عمالهم ولاة الأقاليم ليكونوا لهم عدة يعتدون بها عند الشدائد ،وحتى لا يكون الحديث إنشائياً لابد من ضرب الأمثلة ونذكر في ذلك أنه أثناء ثورة أهل طليطلة على الحكم الربضى عُلم أن هناك من الحشم الأميري من الأجناد من كان في المدينة مع ولاتها وكانوا مختلطين بأهلها ويساكنوهم في أرباضها حتى جاء عامله عمروس بن يوسف المولدي وبنى قصبة خارج المدينة بموافقة أهلها على أن يسكن فيها هؤلاء الأحشام قائلاً لأهل طليطلة" إني رأيت أن الشر الحادث بينكم وبين عمال السلطان إنما هو بمداخلة الحشم لكم ولبنيكم ونسائكم فكنت أرى أن ابنى قصبة في جانب المدينة يسكنها الحشم فيكونون بمعزل عنكم وتسلمون من شرهم"(٤٦١) فتم بناء القصبة والتي استعملها في القضاء على رءوس أهل المدينة حتى لا تقوم للمدينة قائمة بعد ذلك.(٤٦٢) وقام الأمير محمد

---

(٤٦٠) راجع ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص٩٠-٩١، ١٨١.

(٤٦١) راجع ابن القوطية: تاريخ، ص٦٥ وبلفظ آخر عند ابن حيان: السفر الثاني، ص١٠٩.

(٤٦٢) راجع التفاصيل ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٣٤٤-٣٤٥، النويري: نهاية، ج٢٣، ص٣٦٥-٣٦٦، ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٦٩-٧٠.

بن عبد الرحمن سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م بشحن قلعة رباح وطلبيرة[٤٦٣] بالحشم ورتب فيها الفرسان وترك عاملاً عليها وهو حارث بن بزيع.[٤٦٤] وفي أول ولاية الأمير المنذر بن محمد لما أصلح من كورة ريّه في عهد أبيه وهذب أمورها ونظر في أسبابها ولى عليها سليمان بن عبد الملك بن أخطل وعبد الرحمن بن حريش وأدخل معهما أهل المعاقد والحشم للمحافظة على ما أقامه وأصلحه وضماناً لهدوء الرعية وعدم ثورتها[٤٦٥]. ولما غزا الأمير عبد الله بالصائفة سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م غزوته الأولى إلى كورة ريّة قاصداً عمر بن حفصون أفسد ما حول ببشتر من زروع وغلات وثمار ثم شحن الحصون التي عادت إلى الطاعة بالرجال وخلف بحاضرة ريّة محمد بن دنين قائداً على من وضعه من الحشم[٤٦٦] وعندما أعذر الناصر لدين الله حبيب بن عمروس بن سوادة صاحب قرمونة وزميل محمد بن إبراهيم بن حجاج ولم يرجع أرسل إليه الناصر من إشبيلية قائده عيسى بن أحمد بن أبي عبده فصير عنده ندباً كثيفاً من الحشم لمغاورتها في كل وقت والتضييق على ابن سوادة[٤٦٧] حتى افتتحها القائد سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م.[٤٦٨] ولما افتتح الناصر قلعة وحصن دوس أمانتس من حصون بني حفصون سنة

---

(٤٦٣) طلبيره: مدينة من أعمال كورة طليطلة تقع على نهر التاجه El Tajo وهي مدينة كبيرة وقلعتها من أرفع القلاع وهي أشرف البلاد حسناً، بند واسع المساحة كثير المنافع ولها عمل واسع ومزارع زكية وأرحاء كثيرة على النهر راجع ياقوت: معجم، ج٤، ص٧٣، الحميري: بالروض، ص٣٩٥.

(٤٦٤) ابن عذاري: البيان، ج٢، ص٩٥.

(٤٦٥) ابن الخطيب: تاريخ، ص٢٤.

(٤٦٦) ابن حيان: المقتبس، ت العربي، ص٧٦.

(٤٦٧) ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص٩٠-٩١.

(٤٦٨) المصدر السابق، ص١٣٦-١٣٧.

٣٠٧هـ/ ٩١٩م صيرفيه قائده مساور بن عبد الرحمن في ندب من الحشم[٤٦٩]، ولما أسلم عبد الرحمن بن عمر بن حفصون حصن طرش خشين ضبطه عبد الرحمن الناصر بالحشم لحفظه وضمان عدم ثورته[٤٧٠] وبعد افتتاحه حصن بنيرة من كورة ريّه سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م وكان من حصون الخلاف ولى عليه الناصر يحيي بن زكريا بن أنتله وندب عنده رجالاً من ثقات الحشم فترددوا من قبله على مغاورة مدينة ببشتر قاعدة الخلاف العظمى والتضيق عليه من كل ناحية[٤٧١] وبعدما افتتحت قلعة مورور وما حولها من حصون وكانت مفزع عمر بن حفصون وولده عند المعضلات، شد أفلح صاحب الخيل في عهد الناصر قصباتها بالحشم واستعمل عليها يحيي بن أنتله.[٤٧٢]

ولما دخل الناصر حصن الحش القريب من ببشتر سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م أمر بهدمه إلا قصبته التي أخلاها وتركها بحالتها وأدخل فيها من الحشم من ضبطها.[٤٧٣] وولى الناصر في نفس العام عبد الملك بن العاص مدينة مالقة وألزم معه فيها كتيبة من الحشم لمغاورة ملك الحصون المتربصة حولها وأمرهم بحمل السيف على كل داخل إليهم أو خارج عنهم.[٤٧٤]

وبعد أن افتتح الناصر مدينة الخلاف ببشتر بعد الحصار الطويل المستمر ودخلها الوزيران المكلفان بالفتح أحمد بن محمد بن حدير وسعيد بن المنذر

---

(٤٦٩) المصدر السابق، س١٤٩.

(٤٧٠) المصدر السابق، ص١٥٥.

(٤٧١) ابن حيان: المصدر السابق، ص١٨١.

(٤٧٢) ابن حيان: المصدر السابق، ص١٨٦.

(٤٧٣) ابن حيان: المصدر السابق، ص٢١١.

(٤٧٤) نفسه.

القرشي بعد إستنزال حفص بن عمر سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م دخلاء في رجال السلطان وحشمه[٤٧٥]، وفي العام التالي أمر الناصر بتخريب ببشتر وهدمه عن آخره حاشى القصور والقصبات التي أبقاها لعماله وحشمه الذين بوأهم المقام بها فدكت أسوارها[٤٧٦].

كل هذا يوضح بجلاء إمتداد دور الأحشام وتنوع المهام التي كلفوا بها في العاصمة وبعيداً عن العاصمة بل أكثرمن هذا ولأن الحشم شكلوا جزءاً أساسياً في جيش الدولة الأموية فإن هؤلاء الأجناد شاركوا راضين كذلك وبفاعليه أيضا في التوسعات الخارجية للدولة الأموية في بلاد المغرب وقد جاءتنا بعض الأخبار تؤكد لنا ذلك، فعندما أغزى الناصر لدين الله الأسطول إلى أرض العدوة في أتم عدد وعده وأكمل به العتاد والآلة وتكاملت قطعة التي انتهت إلى مائة وعشرين قطعة كان عدد من ركبه من البحرين سبعة آلاف ومن أجناد الحشم ألف كاملة.[٤٧٧] ولما أغزى الناصر الأسطول سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م قاصداً مدينة أصيلا بقيادة قائده عبد الملك بن سعيد بن حمامه فأعاد أهلها إلى الطاعة وأخذ رهائنهم توثقه لذلك ثم استعمل عليهم إبراهيم بن العلاء رجلاً من أهلها البربر كان صحيح الولاية للناصروخلف معه حشداً من الحشم والرماة وقفل راجعاً إلى الأندلس[٤٧٨]، مما يدل على أن الحشم كونوا كتلة من الجيش القادم من الأندلس دون ذكر لهم في الأحداث الأولى ولم يذكروا إلا بعد أن تركوا لحفظ الأمن والإستقرار في المدينة، وفي الأسطول الذي وجهة الناصر لدين الله في نفس

(٤٧٥) المصدر السابق، ص٢١٣.

(٤٧٦) المصدر السابق، ص٢٣٢.

(٤٧٧) ابن حيان: المصدر السابق، ص٣١٢-٣١٣.

(٤٧٨) ابن حيان: المصدر السابق، ص٣٤٧.

العام نصرة لموسى بن أبي العافية الموالي للخلافة كان فيه من الحشم خمسمائة ضمن ثلاثة آلاف رجل هم كل قوة الأسطول.(٤٧٩) وفي سنة ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م إتجه الجيش التابع للناصر في المغرب مع على بن يحيى الحسنى إلى مدينة شرشل(٤٨٠) قائداً بمن معه من الحشم وذلك لمكافحة الشيعي صاحب أفريقية.(٤٨١)

ولما عبر القائد غالب بن عبد الرحمن اتجه إلى العدوة المغربية من الجزيرة الخضراء سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م ومعه الأجناد والخيل والأثقال وآلات الحرب قاصداً مدينة طنجة، وأشرف عليها حرفته الريح إلى مرسى بطنة ثم إلى مرسى اليم بباب القصرعلى مقربة من مدينة طنجة سالماً هو وجميع من ركبا معه من الحشم والآلات(٤٨٢). مما يدل على أن هناك أعداداً كبيرة من الحشم مع القائد غالب في هذه الغزوة التوسعية ويجب هنا أن نتذكر تلك الفرقة الطليطلية التي عرفها الحكم المستنصر وكانت من الرجال الأحرار المصطنعين وقد أرسلوا جميعاً إلى بلاد المغرب لمشاركة الجيش هناك في محاربة أعداء الدولة الأموية(٤٨٣)، ومما يؤكد تواجد الحشم في الجيوش الأموية المحاربة في المغرب أن الحكم أنفذ في سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م مروان بن أحمد بن شهيد من

---

(٤٧٩) ابن حيان: المصدر السابق، ص٣٨٢.

(٤٨٠) شرسل: مدينة بالمغرب من ناحية برشك بينها وبين جزائر بنى مزغناى سبعين ميلاً وهي متحضرة بها مياه جارية وآبار عذبه وفواكه كثيرة وخاصة السفر جل والكروم ولأهلها مواشى وأغنام كثيرة والنخل عندهم كثير والعسل وبها آثار للأول يقابلها من مراسي الأندلس لقنت راجع الحميري: الروض، ص٣٤٠.

(٤٨١) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٢٢٢.

(٤٨٢) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص١١٦.

(٤٨٣) ابن حيان: المصدر السابق، ص١١٨.

قصر الزهراء إلى العسكر المقيم بالعدوة خازناً على أوقار الأموال التي وجبت للجند وغيرهم من طبقات الحشم المنظومين بالعدوة[٤٨٤] ولما استمده قائده غالب بن عبد الرحمن الموجود في بلاد المغرب لمحاربة الثائر حسن من قنون وذلك سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م أمده الخليفة وأمر بإخراج الأخوة يوسف وهاشم وهذيل بني محمد بن هاشم التجيبى وأخوة العاصى بن حكم بني عمهم وغيرهم من ثقات أصحابه ومائه غلام من المماليك وطائفة من فرسان الرياضة[٤٨٥] وفعلاً ظهر دور أولئك الحشم في قتال صاحب البصرة محمد بن أحمد بن عيسى ابن عم حسن بن قنون يقول ابن حيان[٤٨٦] "فابتدرهما أي خيل محمد بن أحمد أحداث من الحشم ناشبوهم القتال فتتابع الناس إليهم فاتصل العراك وكانت الدائرة بالفاسق ورجاله".

وفي هذه الأخبار الكفاية للتدليل على اشتراك الحشم في توسيع رقعة الدولة الأموية ببلاد المغرب وإقامتهم بها ضمن الجنود المقيمين في بلاد المغرب طبعا فتح والمدافعة عنه وأفتتاح الجديد للدولة.

٣-أجناد الحشم والمنازعات خلال عصري الفتنة والطوائف

وإذا انتقلنا إلى عصر ملوك الطوائف المتمهد له بالفتنة الكبرى في الأندلس التي إنماع فيها دور الحشم الأموي الذي لم يعد قوة متماسكة في عهد خلفاء الفتنة من الأمويين الذين كانوا أضعف من أن يسيطروا على الأمور ولما جاءوا ليرتبوا خدمتهم وينظمون حشمهم كان ذلك مجرد شكليات لزوم منصب

(٤٨٤) المصدر السابق، ص١٦٨.

(٤٨٥) ابن حيان: المصدر السابق، ص١٢٥.

(٤٨٦) المصدر السابق، ص١٢٦.

الخلافة وذلك كما لنبأنا ابن بسام[٤٨٧] عن الخليفة المستظهر (رمضان ٤١٤- ذو القعدة ٤١٤هـ/ ديسمبر ١٠٢٣-يناير ١٠٢٤م) الذي رتب طوائف الخدمة ومنها طائفة الحشم ويورد تعليق ابن حيان[٤٨٨] الذي عدد هذه الخدمات قائلاً" وهذا زخرف من التسطير وضع على غير حاصل ومراتب وضعت لغير طائل" ومن العجيب أن تنافس فيها طلاب الوظائف والإرتزاق ولكن "أنى لهم علوالمكانة والإرتزاق وهم في وسط بلد محصور وعمل مغصوب وخراب مستول ومع سلطان فقير مما يعنى ضياع الحشم الأموي والعامري كذلك وقيام أولئك الخلفاء بالاعتماد على الأجناد المرتزقة من البربر والنصارى الذين لا ولاء لهم ولا إخلاص إلا لمن يدفع لهم من رؤساء الفتنة من الأمويين وغيرهم ولكن ما إن دفعت الفتنة ببنى حمود الأدارسة العلويين إلا وظهرت قوى حشمية جديدة في الميدان إذ لما فشل أولهم وهو على بن حمود (٤٠٧-٤٠٨هـ/ ١٠١٦-١٠١٨م) في العيش مع المرتزقة من النصارى أو حتى أولئك الحشم القدامي القليلي العدد لبنى أمية والذي كان على أيديهم قتله سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م[٤٨٩] حتى عدل ثانيهم وهو القاسم بن حمود عن كل هذه الفئات وأنهمك كما ذكرنا سلفاً في شراء العبيد من السودان واتخذهم له حشماً وبطانة[٤٩٠] وجعل منهم أعداداً كبيرة في إشبيلية التي حرص عليها وحفظها بهم[٤٩١] ولكن ابن أخيه يحيى خلع طاعته

(٤٨٧) الذخيرة، ج١، ص٥١.

(٤٨٨) المصدر السابق.

(٤٨٩) ابن عذارى: البيان، ج٣، ص١٢٢، المقري: نفح، ج١، ص٤٨٣، ، الخطيب: تاريخ، ص١٢٩.

(٤٩٠) ابن عذارى: البيان، ج٣، ص ١٣٠،ابن بسام: الذخيرة، ج١، ص٤٨١، المقري: المصدر السابق، ص٤٨٤.

(٤٩١) المصدر السابق، ج١، ص٣١٣.

وكتب من سبتة إلى البربر في قرطبة مغرياً إياهم بالحشم من السودان قائلاً" إن عمى أخذ ميراثي من أبى ثم إنه قدم على ولاياتكم التي أخذتموها بسيوفكم العبيد والسودان وأنا أطلب ميراثي وأوليكم مناصبكم وأجعل العبيد والسودان كما هم من الناس فأجابوه"[٤٩٢] ولما رأي حشم عمه من العبيد والسودان سوء موقفهم بايعوه مع من بايع من أهل قرطبة[٤٩٣]، لكن البربر اشتطوا عليه وطلبوا منه ماوعدهم بإسقاط مراتب السودان فبذل لهم ذلك[٤٩٤] ولكنهم لم يكتفوا بهذا بل أرادوا القضاء المبرم على السودان، عندئذ فرالسودان إلى عمه بإشبيلية[٤٩٥]، وما لبث هو أن خشي على نفسه بحضرة قرطبة وايقن أنه متى أقام بها قبض عليه بسبب سلوك جنده من البربر الذين أتوا ما يخرق الهيبة ويفرغ بيت المال، ففر إلى مالقة[٤٩٦]، ولما بلغ عمه القاسم فراره عاد إلى قرطبة سنة ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م ولكن لم تصلح له الحال إذ كان هوى السودان معه وهوى كثير من البربر مع أبن أخيه يحيي وكثر أرجاف الناس بظهور قائم من بنى أمية وما لبث أهل قرطبة أن أخرجوا القاسم وبرابرته[٤٩٧] ولكن القاسم حاصر المدينة لمدة خمسة أيام ومعه جنده من السودان حتى خرج إليهم أهل المدينة وهزموه وفر القاسم والسودان إلى إشبيلية والبربر إلى يحيي بمالقة سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م[٤٩٨]، وصار القاسم إلى إشبيلية وبها ابنه محمد والياً فسدت أبواب

(٤٩٢) المقري: المصدر السابق، ص٤٨٦.

(٤٩٣) المصدر السابق، ص٤٨٧.

(٤٩٤) المقري: نفح، ج١، ص٤٨٧.

(٤٩٥) نفسه.

(٤٩٦) نفسه.

(٤٩٧) نفسه.

(٤٩٨) ابن عذارى: البيان، ج٣، ص١٣٤-١٣٥، ١٩٦، المقري: المصدر السابق.

إشبيلية في وجهة بسبب سعى محمد بن زيري مدبر أمر ابنه محمد للتملك بسعى القاضي ابن عباد لنفسه ومن هنا قامت الحرب بين الطرفين قتل فيها من البربر والسودان خلق كثير وابن عباد يضحك على الجميع حتى قنع القاسم بأن يأخذ ابنه ويترك المدينة(٤٩٩) وسار إلى شريش(٥٠٠) ولما استقر بها حاصره فيها ابن أخيه يحيى عشرين يوماً كان فيها حروب صعبة هزم فيها القاسم وأسلم له المدينة وفر السودان بعدما تمكن يحيى من القبض على عمه وسجنه وانفرد بسياسة البربر(٥٠١) هكذا استمر الحشم لقمة سائغة لتلك المنازعات والفتن الداخلية حتى سقطت خلافة الحموديين والغاء الخلافة الأموية وانقسام الأندلس بين ملوك الطوائف حيث سيطر الحموديون على مالقة والجزيرة وكذلك سيطرت قوة بربريه أخرى على غرناطة وسيطر بنو عباد على إشبيلية وقوى الفتيان الصقالبة على شرق الأندلس وغيرها من القوى التي أنشأت ممالك لها خلفت دولة الخلافة في الأندلس. وكلها كانت قوى متناحرة متنافسة مندفعة لتحقيق أطماع شخصية على حساب جيرانها من الممالك الإسلامية ولهذا إلتهبت بينها الحروب والتي لم تنته إلا بإسقاطهم جميعاً على يد المرابطين، وفي خضم هذه الصراعات والحروب بين ملوك الطوائف ضاعت قوى الحشم الحربي وتنظيمهم الدقيق ووجهت قوى الحشم الضعيفة المتبقية إلى غير وجهتها، فبدلاً من حفظ الأمن

---

(٤٩٩) المصدر السابق، ص٤٨٧-٤٨٨ حيث دبر أمرها القاضي ابن عباد

(٥٠٠) شريش (Jerez):عاصمة كورة شذرونة وهي مدينة كبيرة يحيط بها الكروم الكثيرة والزيتون والتين، على مقربة من مصيب نهر وادي لكة Guadalito استولى عليها الفونسو العالم ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م وهي اليوم مدينة كثيرة الحركة بقيت بها بعض الآثار الإسلامية راجع من المدينة قديما وحديثاً الإدريسي :صفة، ص٢٠٩، ياقوت: معجم، ج٣، ص٣٤٠ ، الحميري: الروض، ص٣٤٠. عنان: الآثار، ص٢٩٧-٣٠١.

(٥٠١) ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٤٤، المقري: المصدر السابق ص٤٨٨.

العام والجهاد في سبيل الله وجهت كلية لحفظ أمن مالكيها وأملاكهم دون النظر إلى الصالح العام وفي النهاية كان أولئك الأحشام ضحية كبرى لمثل هذه المنازعات ولنأخذ بعض الأمثلة على ذلك من أحداث ووقائع حدثت بين بنى حمود وبنى زيرى، من البربر وبين بنى عباد وكان مسرحها مدينتين تقاذفتا كالكرة بين هذه القوى الثلاث من ملوك الطوائف من أجل الفوز بامتلاكها ولكن كان الخاسر فيها والضحية الكبرى كانوا هم الأحشام السودان فأما مدينة قرمونة التي كانت في أيدى بنى برزال البربر(٥٠٢) وحاكمها محمد بن عبد الله البرزالي فقد نظر إلى أهميتها يحيى المعتلى الحمودى إذ كانت حصن إشبيلية من الشمال الشرقي ولما خاف من ابن عباد المستقل بإشبيلية وخشي طموحه أن ينزع قرمونة من البرزالي فأرتقب فرصة من أجل الفوز بها ونجح في ذلك وهو ما دفع محمد البرزالي إلى تحالف مع ابن عباد على قتاله في ذات الوقت الذي استسلم فيه ابن حمود يحيى لملاذه ولهوه وعكف على الشراب والخمور رغم أن قواته كانت تغير على إشبيلية(٥٠٣)، مما دفع ابن عباد وخليفه إلى انتهاز الفرصة للانقضاض عليه(٥٠٤) في ذات الوقت الذي أتى فيه العبادى بشخص شبيه بهشام المؤيد سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م وبايعه بالخلافة بقصد دحض دعوى خلافة يحيى

(٥٠٢) بنو بززال: هم رهط من زناته بأرض المسيلة والزاب الأسفل مدينة سطيف وطبنة والمسيلة وميلة استعان بهم الأمويون في الجيش الأندلسي وبالذات المستنصر ثم قربهم وعول عليهم المنصور محمد بن أبى عامر حتى وقعت الفتنه فسموا إلى التملك والسلطان فاستقر قرارهم بمدينة قرمونة واستجه وتوارثوا قرمونة حتى تنازل آخرهم العزبن إسحاق بن محمد عبد الله البرزالى عنها لبنى زنون مقابل حصن ليكون فيه مستراح البرازلة من الحروب راجع ابن عذارى: المصدر السابق، ص٣٦٧-٣٦٨.

(٥٠٣) راجع ابن عذارى: البيان، ج٣، ص١٨٨-١٨٩.

(٥٠٤) ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٨٩.

المعتلى ودعا الناس للدخول في طاعته[٥٠٥] وسرعان ما أرسل إلى قرمونة ابنه إسماعيل ومعه طائفة من البربر ودارت رحى معركة انتصر فيها المعتلى لولا أن ظهرت قوات ابن عباد من كمائنها فانهزم بأصحابه وقتل يحيى وحز رأسه ثم أرسل لابن عباد سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م[٥٠٦] وكان لديه محمد بن عبد الله البرزالى فابتدر قرمونة ولكن وجد حشم يحيى المعتلى من السودان قد ملكوا أبوابها ومنعوه من الدخول إليها[٥٠٧] ولكنه تحيل في دخولها من بعض الأماكن يعرفها واستحوذ على ما فيها وشرد أولئك السودان[٥٠٨].

أما مالقة التي كانت أولاً مثارمنازعات بين الحموديين أنفسهم إذ كان مرتباً فيها جنوداً من السودان كانوا تابعين للخليفة إدريس بن يحيى فأختلفوا عليه وقدموا عليه ابن عمه محمد بن إدريس بن يحيى وامتنعوا بالقصبة ودافعوا عنه لصالح محمد فاجتمع عامة المدينة على إدريس بن يحيى واستأذنوه في حرب السودان الذين لو أذن لهم ما لبثوا أمامهم ساعة من نهار ولكن إدريس آثر السلامة وسلم لابن عمه الذي لقب بالمهدي وبويع بالخلافة واعتقل إدريس في نفس المكان الذي كان معتقلاً هو فيه.[٥٠٩] ولما خلصت له مالقة وللحموديين سما إليها باديس بن حبوس الصنهاجى فاستطاع أخذها سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م بعد أن" تقلص ظلال الحمودية عن أرجائها وأفول النجوم العلوية في سمائها" [٥١٠]

---

(٥٠٥) ابن عذارى: البيان، ج٣، ص١٩٠ وما بعدها. ابن الخطيب: تاريخ، ص١٥٣-١٥٥.

(٥٠٦) ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٨٩، ١٩٩.

(٥٠٧) ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٨٩، ابن الخطيب: تاريخ، ص١٣٧.

(٥٠٨) نفسه.

(٥٠٩) راجع ابن عذارى: البيان، ج٣، ص٢١٧-٢١٨.

(٥١٠) ابن بسام: الذخيرة، ج٣، ص٤٩.

وصارت في ملكه حتى إرتاح أهل مالقة للقاضي المعتضد بن عباد فراسلوه في المجئ إليهم فأرسل إليهم جيشاً على رأسه ابنيه محمد وجابر فحاصروا مالقة وكادوا أن يفتحوها لولا حشم باديس من السودان المغاربة الذين استصرخوا أميرهم(٥١١) واعتصموا بقصبة المدينة التي وصفت " بالحصانة وبعد المرام وأنافة مكان وإطالة بنيان"(٥١٢) ورغم أن أهل مالقة أشاروا على ابنى المعتضد بإذكاء العيون وضبط ما حول المدينة من حصون ومعاقل إلا أن استصراخ السودان المغاربة وجدت تلبية سريعه فلم يرع ابنى عباد إلا صهيل الخيول وتداعى الأجناد التي أعملت القتل والأسر في جيشهم وفرت بقية القوات لا تلوى على شيء وامتلأت أيدى الباديسيين بالسلاح والكراع ولجأ ابنى عباد إلى رندة(٥١٣) وحفظت المدينة بفضل أولئك الأحشام من السودان لبنى باديس والذين لولا إغاثه الباديسين لهم لقضى عليهم بنو عباد وأهل مالقة.

وأخيراً يجب أن نشير إلى أنه في زمن الفتنة وملوك الطوائف زمن الإنشقاق والإ نشعاب والإفتراق على حد قول ابن الخطيب(٥١٤) حطمت الكثير من القيم وأنكسرت المبادئ وتأصلت الأنانية وحب الذات فوجدنا لذلك اثراً في الحشم الذين هم أصلاً وكما رأينا في عهد بنى أمية وما يلى عصرملوك الطوائف

---

(٥١١) المصدر السابق، ص٥٠.

(٥١٢) نفسه.

(٥١٣) رندة (Ronda):معقل حصين بالأندلس على نهر وادي لبين Guadalebin من أهم القواعد الأندلسية كانت تحمى مالقة من الغرب وبسقوطها سنة ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م سقطت مالقة سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م، راجع ياقوت: معجم، ج٣، ص٧٣، الحميرى: الروض، ص٣٦٩، وعنان: الآثار، ص٢٧١-٢٧٧.

(٥١٤) تاريخ، ص١٤٤.

من عصور رعاة المبادئ والمحافظة على العلاقة الطيبة على أسيادهم والتضحية من أجلهم وفدائهم بأنفسهم إلا أنهم في عصر الفتنة وملوك الطوائف، عملوا لأنفسهم في بعض الأحيان وفضلوا أرواحهم وزكوها عن الموت في سبيل الغير ونجوا بأنفسهم من مواقف مؤلمة في المنازعات والفتن الداخلية المدلهمة بين ملوك الطوائف ونذكر في ذلك خبراً أورده ابن بسام[٥١٥] يؤكد كل ذلك فأثناء الصراع بين البربر والصناهجة من ناحية وزهير العامري متولى ألمرية واسعة الأرجاء والذي رغم خلاله الكثيرة إلا أنه كان متهوراً محباً للتوسع ولذلك أقدم سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م على مهاجمة مملكة غرناطة ولم يلتفت إلى طلب باديس وأخوه بلقين في طلب المودة والصداقة وألتقى مع قوات باديس وأخوه بلقين في ظاهرقرية ألقنت قرب غرناطة أخر شوال سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م والتي انتهي بهزيمته ثم مقتله، وشاهدنا من هذه المعركة أنه كون بنفسه حشماً من السودان بلغوا خمسمائة أعدهم للنائبة ولكنهم كانوا أول من أعان عليه فلأول وهله غدروه وعمدوا إلى خزانة سلاحه فنهبوها بل نادوا بشعار صنهاجة ثم انقلبوا معهم ووضعوا السلاح في أصحاب زهير فانهزم زهير وجيشه هزيمة منكرة[٥١٦] وقتل زهير وغنم الصناهجة المال والخزائن والأسلحة والعدد والغلمان والخدم ما لا يحاط وصفاً ولا قيمة[٥١٧] نتيجة لغدر حشمه من السودان في زمن الغدر والأنانية ومحبة الذات وتفضيل لمصلحة على التضحية من أجل الروابط المقدسة والمبادئ السامية وهي أرسخ ما قام عليه نظام الحشمية وأجناد الحرب منهم خاصة.

---

(٥١٥) الذخيرة، ق١، م٢، ص٦٥٩.

(٥١٦) ابن بسام: المصدر السابق.

(٥١٧) نفسه.

وفي النهاية يجب أن نشير أيضا إلى أن المعلومات الواردة عن دور الحشم فيما حدث من فتن ومنازعات في عصري المرابطين والموحدين في الأندلس معدومة وذلك ربما يكون لنظرة الدولتين إلى الأندلس في كونها ثغراً للمسلمين ولذا توجهت جهود قواتها المرابطة ومنها الحشم إلى الجهاد ضد نصارى الشمال وما سنقوم برصده ولكن بعد بداية هذا الدور الرائع للحشم مع دولة بنى أمية في الأندلس وذلك تحت عنوان:

٤-أجناد الحشم والجهاد ضد الممالك النصرانية

إن أطهر دور وأشرفه قام به أجناد الحشم في الأندلس كان الجهاد ضد ممالك النصارى في الشمال الأندلسي هؤلاء الذين والاهم حكام الأندلس بالصوائف بل والشواتي من أجل رد عاديتهم عن الأراضي الإسلامية والدفاع عن ثغورها. ورغم صعوبة تتبع هذا الدور للحشم لسكوت المصادر في أغلب الأحيان عن الحديث بهذا الخصوص إلا أن هناك مواقف ومشاهد متعددة أظهرت بجلاء هذا الدور بالإضافة إلى ما وقر في أذهاننا من خلال هذا البحث من أن الحشم كانوا يكونون جزءاً كبيرا من الجيوش الإسلامية بالأندلس بما يكفي لإثبات اشتراكهم في معارك الجهاد أيضا وسنرصد هنا الوارد صراحة في المصادر من لقطات جهادية للحشم لندلل على هذه الإسهامات المحورية والمستمرة للحشم في الجهاد وحراسة الثغور.

فمن عصر الإمارة الأموية نأخذ هذه المعلومة التي أوردها ابن حيان في أخبار سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م إذ أرسل عامل الثغر الأعلى عبد الله بن يحيى إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط يذكر له استغناءه عن العدة التي أمر باحتباسها قبله من الخرس..... واكتفاءه بمائة وثلاثين غلاماً ذكر أنهم من مواليه وغلمانه

يرضى بسالتهم وذلك لما أصبح عليه الثغر من السكون والهدوء.(٥١٨) وهذا المشهد من عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن الذي غزا الثغر واستجد عزائم الناس والجند في ذلك على يد ولسان قائده في هذه الغزوة وهو ابنه المنذر الذي كان محبباً للناس بالسماح الذي كان فيه فلما كلمهم أشاروا عليه بألا يلقوا العدو إلا إذا أمر صاحب الحشم بإظهار الحشم وعدم إبقاءهم إلى أن يستعر القتال وكذلك الأجناد الآخرين ويأمرهم أن يتقدموا إلى صدر الجيش ففعل المنذر ودارت رحى الحرب وكانت عظيمة فأنزل الله فيها النصر على المسلمين وهزم النصارى ويقال أنه لم يؤذن للظهر في هذا اليوم إلا وعلى باب المظل الذي فيه الأمير محمد ثلاثون ألف رأس من رءوس قتلى النصارى.(٥١٩)

أما إذ انتقلنا إلى عصر الخلافة الذي كان العصر الأكثر أمناً واستقراراً داخلياً واستتباباً للأمن، فإن دور الحشم كان أكثر بروزاً في مصادرنا لكثرة الأخبار عن الجهاد وتوافرها بكثرة ومن تلك الأخبار نأخذ مشاهد بعينها ففي سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م غزا الناصر لدين الله بنفسه إلى دار الحرب وأثناء مسيرته محققا الانتصار تلو الآخر وقع عليه خبر باجتماع العلجين سانشو Sancho Garcia وأردنيو الثاني Ordono II (٥٢٠) ملكي النصرانية واستمد بعضهما بعضاً طامعين في اعتراض مقدمة جيش المسلمين فانزعج الناصر لذلك وأمر القواد وأصحاب الحشم بتعبئة العساكر وإقامتها على حدودها- أي الثغور- وضبط أطرافها ثم

(٥١٨) راجع ابن حيان: المقتبس، ت مكى، ص٢٦٠.

(٥١٩) راجع ابن القوطية: تاريخ، ص١٠٨-١٠٩.

(٥٢٠)هو سانشو غرسيه ملك نافارهو أول من تلقب بألقاب الملوك وبه تبدأ مملكة نافار الحقيقية وقد حكم سانشو هذا حتى ٩٢٦هـ. أما أرد نيو الثاني فهو ملك ليون المتوفى سنة ٩٢٥م.

نهض بها إلى العلجين اللذين جاءا بأعدادهم الكثيرة يولولون ويتصايحون كي يدهشوا من يسمعهم ويضعفوا قلوبهم(٥٢١) فعهد الناصر إلى الناس بالوقوف والنزول في مكانهم وإرساء المحلة وإقامة الأبنية استهانة بما فعل العلجين ثم أمره بسرعة النهوض لمحاربة النصارى(٥٢٢) يقول ابن حيان(٥٢٣) نقلاً عن عريب بن سعد" وانصبت عليهم حماة حشم الناصرلدين الله وأبطال الثغر يضعون أسلحتهم فيهم ويمطرونهم بمزارقيهم عليهم فحمى الوطيس فلم يكن إلا كلا حتى انهزم المشركون" أما ابن عذارى(٥٢٤) فيعبر عن ذلك بقوله" وأقتحم عليهم حشم أمير المؤمنين ورجاله وأبطال الثغر وحماته يضعون أسلحتهم فيهم ويمطرون رماحهم عليهم حتى انهزم المشركون".

ويذكر أنه أثناء إنشغال الناصر لدين الله في القضاء على المخالفين في طليطلة سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م. جاءته الأخبار باعتداءات النصارى على الثغر الأعلى فأمر قائده أحمد بن محمد بن حدير بالخروج إليهم بمن حضر قرطبة من الأجناد خاصة من حشمه ومن خف معه من المطوعة المحتسبين فلما بلغ العدو خروجهم" انصدع جمعه وأقصروا عما هموا به ولم يفارقوا أرضهم"(٥٢٥) وفي

(٥٢١) ابن حيان: المقتبس، ت شالميتا، ص١٦٦.

(٥٢٢) نفسه.

(٥٢٣) نفسه.

(٥٢٤) البيان: ج٢، ص١٧٩.

(٥٢٥) ابن حيان: المصدر السابق، ص٢٨٨. ابن عذارى: المصدر السابق، ص٢٠٥.

غزوة الناصر لبنبلونة[٥٢٦] سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م والتي انتصر فيها على سانشو ملك نافار ومن معه من النصارى على طول الخط وفي إحدى معاركه في وادي هيعه "لم يصب من جيش المسلمين غير يعقوب بن أبى خالد النويرى ونفر يسير من الحشم فازوا بالشهادة وختم الله لهم السعادة"[٥٢٧] ويأتينا ابن حيان[٥٢٨] بأخبار من سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م تؤكد عظيم دور الحشم في مجاهدة النصارى وسد ثغور المسلمين إذ يذكر أنه في رجب منها نظر عبد الرحمن الناصر في سد ثغور المسلمين وشحنها بالرجال والأموال والعتاد فلم يجد لذلك سوى الأعوان من أحشامه جميعاً بحيث وضعهم في المدن والحصون والقصاب والفروج في الثغور، ولما وجد الناصرلدين الله عدم كفاية الأعداد الحشمية عندئذ سد هذا النقص وزاد في إلحاق العرفاء وطبقات الحشم وعمل على الإكثار من أعدادهم ثم وفر لهم الأقوات اللازمة وكل ما يعد للحصار إن نزل وذلك استظهاراً على الحوادث الطارقة فأثبتوا ما حده لهم وأصبحت ثغور المسلمين محصنة موفورة يتعهدها كل حين بنظره"[٥٢٩]

والواقع أن الناصر لدين الله قد عول كثيراً على أجناده من الحشم وإعتمد عليهم كثيراً في أمر الجهاد ضد نصارى الشمال حتى أنه عند استعداده للخروج في الغزو سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م وهمه بذلك قعد يدبر الخروج في غلمانه

---

(٥٢٦) بنبلونة (Pamplona) عاصمة ولايه نافار أو بلاد البشكنس، تقع على بعد ٣٥٠ كيلو متر شمال شرق مدريد على الضفة اليمنى لنهر الايرو El Ebro راجع عنان الآثار الأندلسية، ص٣٠٧-٣٠٩.

(٥٢٧) ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٨٧.

(٥٢٨) المصدر السابق، ص٤٥٦.

(٥٢٩) ابن عذارى :المصدر السابق.

وحشمه خاصة لما هم عليه من" تكامل العدة والتباهي في البأس والشدة والاستظهار بالعدة والقوة"(٥٣٠) ورأي الناصر إعفاء رعيته من المطوعة وغيرهم من مؤونة الغزو لما نالهم من غزوة الخندق سنة ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م فضلاً عما يحدث عند إجتماع الرعية من المطوعة من جموع كبيرة "تضيق بهم بلاد العدو ولا تسعفهم غلاتها ولا ترويهم مياهها فيدعوهم ذلك إلى الإضطراب والإرتياد ولا يمكنهم ذلك من التلبث والمقام"(٥٣١) ولما قوى عزمه على ذلك أبرز سرادقه إلى فحص الربض ثم برز بنفسه لتعبئة الجيش من الحشم، وأثناء ذلك أتاه رسول ملك جليقية يخطب السلم ويرغب في الهدنة فجنح الناصر للسلام(٥٣٢).

وفي عهد المستنصر الذي قلت في عهدة الحروب ضد النصارى نتيجة للمجهودات التي بذلها والده ضدهم ومع ذلك لم يقصر إذ سمع بأي اعتداء على الثغور الإسلامية وعمل على تقويتها بكل معاني الإمداد والإرفاد، ولما سمع بتجييش العدو على الثغور أرسل إلى سرقسطة ذلك الثغر مطلعاً لحاله ومنهياً لمصالحه(٥٣٣) وكان قد أرسل قائده الكبير غالب إلى الثغور بجيش كبير لمحاربة أولئك النصارى وذلك في سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م وأرسل إليه سهل الفتى الكبير ممداً ليستعين به في حروبه ضد حاكم قشتاله وحلفائه من النصارى، فقصد سهل الفتى نحوه في جمهور من الحشم وطائفة من العبيد الخمسيين والرماة.(٥٣٤)

---

(٥٣٠) ابن حيان: المصدر السابق، ص٤٤٩.

(٥٣١) المصدر السابق، ص٤٥٠.

(٥٣٢) نفسه.

(٥٣٣) ابن حيان: المقتبس، ت الحجي، ص٢٢٢.

(٥٣٤) المصدر السابق، ص٢٢٣.

وإذا انتقلنا إلى عصر المرابطين فإن أولئك الأجناد من الحشم الذين كونهم يوسف بن تاشفين وعبر بأغلبهم إلى الأندلس جهاداً في سبيل الله لعبوا دوراً في المواقع الكبرى بين المرابطين ونصارى الشمال الذين كانوا قد تسلطوا على ملوك الطوائف وخاصة معاصر ابن تاشفين ألفونسو السادس Alfonso VI ملك قشتاله[٥٣٥]، وقد ظهر دور الحشم جلياً في موقعة الزلاقة الشهيرة سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م فلم تزل الكرات تتوالى بين الفريقين من المرابطين والمسلمين من ناحية وجيش ألفونسو من ناحية ثانية إلى أن أمر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حشمه من السودان بخوض غمار الحرب فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعركة بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان فطعنوا خيل النصارى فرمحت بفرسانها واضطرب جيش العدو[٥٣٦] وأثناء القتال اشتبك ألفونسو بأحد أولئك الحشم من السودان وحاول ضربه بعد أن دق مزاريقه وأهوى ليضربه

(٥٣٥) قبل أن يتوفى الملك فرناندو Fernando الذي وحد أسبانيا الشمالية قام سنة ١٠٦٤م بتقسيم المملكة بين أولاده الذين تنازعوا عقب وفاته مباشرة وقامت الحرب الأهلية بينهم والتي أسفرت عن هزيمة الفونسو Alfonso ملك ليون واشتورياش وفراره إلى المأمون بن ذى النون بطليطلة وعاش فترة من الزمن في قصر بجوار قصر المأمون بطليطلة وأعد له كل ما يلزم لراحته ليعيش محبواً مكرماً لمدة تسعة أشهر كاملة بعدها تطورت الأحداث في أسبانيا النصرانية لتدفع به إلى العرش ويوحد البلاد تحت سلطته وسرعان ما تنكر لبنى ذي النون وخليفة المأمون بل والمسلمين كلهم ليبدأ بغية وتعصبه فيما يسمى في التاريخ بحركة الاسترداد المسيحية مبتدأ بطليطلة التي آوته واكرمته منتقلاً بعد ذلك في الأراضي الإسلامية مذلاً لملوك الطوائف من المسلمين ومرهقا لهم بالجزى المفروضة حتى استعانوا عليه بالمرابطين الذين أوقعوا به الهزيمة في الزلاقة.

(٥٣٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٧، ص١١٨، ابن عذارى: البيان، ج٤، ص١١٧، ابن زرع: الانيس، ص١٨٢ وما بعدها ،المقري: نفح، ج٤، ص٣٦٧-٣٦٨،

بالسيف فلصق به الأسود وقبض على أعنته وانتضى خنجراً كان منتطقاً به فأثبته في فخذ ألفونسو فهتك حلق درعه وشك فخذه مع بداد سرجه وكان ذلك وقت الزوال مع بداية هبوب ريح النصر على المسلمين في المعركة.(٥٣٧)

واستمر أبناء يوسف وخلفاؤه في الاستكثار من الحشم والاعتماد عليهم في الجهاد وإن كان علياً بن يوسف قد شغل مع بداية ظهور مهدى الموحدين واضطر إلى تقسيم قواته الحشمية بين المغرب والأندلس(٥٣٨) إلا أن أجناد الحشم في عهده بالأندلس كان لهم دوراً بارزاً في كبريات المعارك أيضاً دلالة على استمرارهم في العطاء لدولة المرابطين وإخلاصهم لله في الجهاد ففي سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م عبر الأمير مزدلى من المغرب إلى الأندلس واليا على قرطبة وغرناطة من قبل على بن يوسف ولما وصل إليها استمد الأمير أمير المسلمين فأمده بعسكر ضخم من المرابطين والحشم وغيرهم.(٥٣٩) وام بهم الأميرمع من انضم إليه من عسكر قرطبة وغرناطة ولفيف من المطوعة خيلاً ورجالة إقليم

(٥٣٧) ابن خلكان :المصدر السابق، ابن عذارى :المصدر السابق ،المقري:المصدر السابق .

(٥٣٨) ومما يذكر للدلالة على ذلك أن المهدى ابن تومرت لما تكاملت عدة الأجناد من الموحدين وأضاف قبائل المصامدة ما يزيد على العشرين الفاً ندبهم إلى الجهاد ضد المرابطين وانتخب منهم عشرة آلاف وعقد لهم رايه بيضاء وأطلقهم إلى مدينة اغمات فلما علم بذلك على بن تاشفين بعث لقتالهم جيشاً من الحشم والأجناد وقدم عليهم الأحول اكلثوم وكان له النظرعلى لمتونه فهزم جيش على وقتل الأحول وتتبعهم الموحدين حتى دخولهم مراكش وذلك سنة ٥١٦هـ/ ١١١٢م راجع بن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٥٣٩) ابن عذارى: البيان، ج٤، ص٥٨.

طليطلة فاثخن فيه فدوخه واكتسح أوديته وبالغ في النكاية به وصدر إلى قرطبة ظافراً على عدوة.(٥٤٠)

وفي سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م لما اعتدى صاحب قشتاله وابن هود على إشبيلية واحتلوا شريش وقتلوا من بها من المسلمين واستباحوا وبالغوا في نكاية المسلمين وعادوا إلى بلادهم خرج إليهم تاشفين بن على في نفس العام(٥٤١) خاصة وأنه علم باتحاد النصارى وتكوينهم لجيش كبير وأنهم قاصدون مدن بطليوس وباحة وبابرة وغيرها من البلدان في تلك الناحية الغربية فشنوا الغارة، وجاسوا خلال المنطقة واخترقوها عرضاً وطولاً ووصلوا إلى أماكن بعيدة منيعة لا تروع بعدو(٥٤٢)، عندئذ قرر تاشفين أن يمم وجهه ناحية الغرب بأعنته ورجاله رجاء اللحاق بهم وفعلاً التقى بهم في فلاة قرب الزلاقة فرتب عسكره ولزمت الرجال أماكنها فكان في القلب مع الأمير تاشفين وجوه المرابطين وأصحاب الطاعات وفي الجانبين كفاة الدولة وحماة الدعوة من أبطال الأندلس وفي الجناحين من أهل الثغر وذوى الجلادة والصبر وفي مقدمة الجيش كان الحشم من مشاهير زناته ولفيف آخرين من الحشم "من أهل العزائم الماضية والبصائر الثابتة بالرايات المصنفة والأعلام المنيفة"(٥٤٣)، ودارت الحرب ونصر الله

(٥٤٠) نفسه.

(٥٤١) المصدر السابق، ص٨٨.

(٥٤٢) ابن عذارى: المصدر السابق، ص٨٨. ابن الخطيب: الاحاطة، ج٣، ص٤٠.

(٥٤٣) ابن عذارى:المصدر السابق، ص٨٨-٨٩. ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٤٥٢-٤٥٣.

المسلمين وأنقذ تاشفين الأسرى من أيدي الطاغية وأخذ الغنيمة وقتل جملة كبيرة منهم وعاد إلى قرطبة(٥٤٤) .

ومما يدل على محورية دور الحشم في معارك الجهاد وإخلاصهم في ذات الوقت أن والي غرناطة وقرطبة تاشفين بن على في عهد والده على بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ/ ١١٠٦-١١٤٢م). لما أراد أن يغزو نصارى الشمال سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م استحضر زعماء المرابطين ونظر ما عندهم في لقاء العدو فأجابوه بما أحب ووعدوه بأن لا يتقدمهم أحد في اللقاء ولما دعا العرب قالوا له: أرم بنا العدو ولا تشرك معنا أحد، ثم استدعى أمير المسلمين زناتة والحشم فقالوا له: لا جواب إلا بالفعل وشرطنا أن تعول أيتامنا وذلك إستبلاغاً في إظهارعزيمة القتال والجهاد في سبيل الله والإخلاص فيها(٥٤٥)، عندها جزى الأمير الجميع خيراً وأصابهم بما طابت به أنفسهم وقوى عزائمهم فخاض بهم الواقعة المشهورة بغزوة جبل القصرالذي تحصن به الأعداء، فحاصره تاشفين وشدد في ذلك وأصابت عساكره من الأعداء حتى أنهم خرجوا في جماعات سالكين طرقاً وعرة لم يعرفوها فأخذتهم قوات المسلمين طعناً وضرباً وقتلاً(٥٤٦) ومنهم من هرب تاركاً الدواب والسلاح فأخذها المسلمون ثم أسروا منهم عدة(٥٤٧) يقول المؤرخون(٥٤٨) :"وكان هذا الغزو يربو على ما تقدم من نظرائه لاستئصال هذه الشوكة المؤلفة والحية القاتلة".

---

(٥٤٤) المصدر السابق، ص٨٩. ابن الخطيب: المصدر السابق، ص٤٥٣.

(٥٤٥) الحلل الموشية، ص١٠١-١٠٢، ابن عذارى: البيان ج٤، ص٩٤.

(٥٤٦) الحلل الموشية، ص١٠٢.

(٥٤٧) الحلل، ص١٠٢، ابن عذارى: المصدر السابق: ص٩٥.

(٥٤٨) ابن عذارى: المصدر السابق، الحلل الموشية، ص١٠٢.

ومن مشاهد جهاد أجناد الحشم في عصرالموحدين نذكر دورهم في حصارشنترين سنة ٦٥٨هـ/ ١١٦٢م مع الخليفة يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٣-١١٨٤م) ذلك الحصار الذي طال حتى أرسل الخليفة إلى ولده السيد إبراهيم ومن معه من العساكر أن يرحل لغزو لشبونه ويشن الغارات على أنحائها ويكون رحيله نهاراً فأساء الابن فهم ميعاد الرحيل فارتحل في جوف الليل وعلم العسكر برحيله(٥٤٩) وصرخ صارخ بأن أمير المؤمنين قد عزم الرحيل في هذه الليلة فتحدث الناس وتأهبوا للرحيل، فلما أصبح أمير المؤمنين وأضاء النهار لم يجد حوله أحد من أهل محلته إلا اليسيرمن خاصته وحشمه الذين يرحلون لرحيله وينزلون لنزوله(٥٥٠) وقواد الأندلس الذين يمشون أمام ساقته وخلف محلته من أجل الضعفاء(٥٥١)، فلما طلعت الشمس ونظر النصارى المحاصرون في شنترين على محلة المسلمين وقد أقلع أهلها وارتحلوا ولم يبق حول المدينة غيرأمير المؤمنين في حشمه وأهل دائرته(٥٥٢) وتحققوا من ذلك عن طريق عيونهم وجواسيسهم فتحوا أبواب المدينة وخرجوا خرجة رجل واحد وهم قاصدين الخليفة ويقولون الراي الراي أي El Rey (٥٥٣)، ووصلوا إلى محلته واقتحموا أخبيته فدافع عنه الحشم دفاعاً مستميتاً وقاتلوا المهاجمين قتالاً

(٥٤٩) ابن أبى زرع: الأنيس، ص٢٨١، ٢٨٢.

(٥٥٠) المصدر السابق، ص٢٨٢.

(٥٥١) المصدر السابق، ص٢٨٢.

(٥٥٢) نفسه.

(٥٥٣) نفسه.

شرساً حتى استطاعوا الإفلات بالخليفة ولكن بعد أن جرح جراحات مات منها في الطريق إلى إشبيلية.(٥٥٤)

ومشهد آخر يبرز دور الحشم في الجهاد في العصر الموحدى في موقعة الأرك(٥٥٥) الشهيرة سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٤م حيث جمع الخليفة المنصور ٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٩م قبل المعركة قادة الأندلس لاستشارتهم فقدموا بين يديه واحد منهم وهو الصالح أبي عبد الله بن صناديد فقال له "إن النصارى أهلكهم الله أهل خدع ومكائد في الحروب فيجب علينا أن نقابلهم ونقاتلهم بما هم عليه وأشار على الخليفة أن يقدم بين يديه شيخاً من أشياخ الموحدين الموصوفين بالشجاعة والدين والإخلاص والتضحية لله وللمسلمين بجيوش الأندلس وحشودها وجميع من في المعسكر من العرب وزناتة والأغزاز والمصامدة وسائر قبائل المغرب من المتطوعة وغيرهم ويعقد رايتك المنصورة فيقاتل بهذا المعسكر المبارك عسكر العدو ثم قال: وتقعد أنت بجيوش الموحدين أنجدهم الله والعبيد والحشم بالقرب من موضع المقاتلة في موضع خفي رداً للمسلمين فإن ظفرنا بعدونا فبفضل الله تعالي وبركتك ويمن خلافتك وإن كان غير ذلك تكون أنت بعسكرالموحدين حماية للمنهزمين فتلقي العدو وقد انكسرت شوكته وذهبت قوته ووحدته(٥٥٦) فقال له المنصور الرأي ما رأيت، ودارت رحى المعركة وكان قائدها الأعلى أبو يحيى بن أبى حفص المتقدم بجيوش المسلمين على رأي ابن صناديد وانتصر بقواته على جيش الفونسو الثامن وسرعان ما أتت بعض خيل

---

(٥٥٤) ابن أبى زرع: المصدر السبق.

(٥٥٥) الأرك (Alacos): محلة وحصن منيع على مقربة من قلعة رباح راجع الحميري: الروض، ص٢٧.

(٥٥٦) ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢٩٤.

العرب مسرعة لأمير المؤمنين تبشره بالنصر(٥٥٧)، فزحف الخليفة بمن معه من الحشم والخدم وارتفعت الأصوات بالشهادات وتسابقت الأجناد للقتال قاصدين حصن الأرك(٥٥٨) ولما سأل ألفونسو الثامن Alfonso VIII (٥٥٩) ما هذا قيل له: أمير المؤمنين قد أقبل وما قابلك اليوم كله إلا طلائع جيوشه ومقدمات عسكره، عندئذ دخل الحصن وخرج من الباب المقابل وولي ومن معه مدبرين منهزمين(٥٦٠) فتلاحقت بهم فرسان المجاهدين يقتلون ويأسرون(٥٦١) وأحاط المسلمون بالحصن فدخلوه بالسيف بعد أن أضرموا النار في أبوابه وأحتووا على جميع ما فيه وما في محله النصارى من أموال وذخائر وأرزاق وأسلحة وعدة وما إليها فضلاً عن

---

(٥٥٧) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢٩٩.

(٥٥٨) نفسه.

(٣) هو ملك قشتالة الذي هزم أمام المنصور في الأرك ولكن بعد ذلك أخذ على عاتقه إحلال الوئام بين ممالك النصارى في الشمال آنذاك وهي نافار وأراجون وقشتالة وليون ونجح في ذلك سنة١٢٠٩م بعقد الهدنة بينه وبين ملك نافار وأفلحت وساطته لعقد الهدنة بين ملكي نافار وأراجون في ذات الوقت الذي قربت فيه نهاية الهدنة بينه وبين المسلمين إلا أنه لم ينتظر إنتهاء الهدنة بناء على ما أحدثه من تغيرات على الساحة المسيحية بتقريب القوى وزرع التفاهم بينها ماعدا ملك ليون ،ثم سعى لدى البابوية ليبارك جهوده التالية ضد المسلمين و استدرارعطف الشعوب النصرانية وقد أفلح في ذلك ونزل البابا عن رغبته واستثار النصارى وبدأ هو يغيرعلى أراضي المسلمين وشجع نظرائه في ذلك ولهذا خرج الناصرالموحدي واستولى على شلبطرة والتي كانت السبب المباشر المؤدي إلى معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ . راجع عنان :دولة الإسلام في الأندلس ،العصر الثالث،القسم الثاني،عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى،الخانجي القاهرة١٩٩٠ ط٢،ص٢٨٧ وما بعدها.

(٥٦٠) نفسه.

(٥٦١) نفسه.

النساء والذرية وقتل منهم آلاف كثيرة لا تحصى وأسر منهم دفعة واحدة أربع وعشرون ألف فارس ولكن الخليفة من عليهم بإطلاقهم جميعا[٥٦٢] ثم عاد إلى إشبيلية بعد أن سارفي بلاد النصارى يخرب المدن والقرى والحصون ويغنم ويسبي ويقتل ويأسر[٥٦٣].

وآخر المشاهد التي برز فيها دور أجناد الحشم في معارك الجهاد في موقعة العقاب Las Navas de Tolosa الشهيرة سنة ٦٠٩هـ/١٢١٣م إذ لما سمع ألفونسو الثامن أن الناصر الموحدي (٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٩-١٢١٣م) قد فتح شلبطرة[٥٦٤] تحرك نحوه بجميع من كان معه من ملوك النصارى وحشودهم ولما علم الناصر بذلك تحرك للقائه بجيوش المسلمين وألتقى الجمعان بموضع يسمى عقاب تولوسا وللتفكك الذي كان بين فرق الجيش وخيانة الوزير وسوء العلاقات بين قادة الأندلس والناصر وغير ذلك من أسباب دارت الدائرة على المسلمين[٥٦٥]

---

(١) ابن أبي زرع :المصدر السابق ص٢٩٩-٣٠٠.

(٢) المصدر السابق ص ٣٠٠.

(٣) شلبطرة(Salvterra)من حصون قلعة رباح والذي ظهر في الأحداث الكائنة بين الناصر الموحدي وألفونسو الثامن ملك قشتالة أوائل القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي راجع الحميري:الروض ص ٣٤٤.

(٤) مثل دخول الشتاء واشتداد البرد وقلة المؤونة وضعف عزائم الجند وفساد النيات في الجهاد وتدخل الوزير أبي سعيد بن جامع في إفساد العلاقة بين قواد الأندلس والخليفة وذلك بعد أن صورموقف ابن قادس قائد قلعة رباح التي سلمت للنصارى بعد حصار طويل أسوأ تصوير واتهمه بالخيانة وتسليم القلعة فأقدم الخليفة على إعدامه هو وصهره.عن المعركة وتفاصيلها راجع ابن عذارى :البيان المغرب قسم الموحدين ص ٢٦٣-٢٦٥،ابن أبي زرع:الأنيس ص٣١٢ وما بعدها .،ابن خلدون :العبر م ٦ص ٢٩٥،عنان:

وقتل منهم ألفونسو مقتلة عظيمة حتى قيل أنه نجا من الجيش واحد من الألف[٥٦٦] ولكن حشم الخليفة لعبوا دورا كبيرا في حمايته ونجاته من المعركة سالما إذ لما انكشف الجيش عن محلة الناصر وركب الروم أكتاف المسلمين وتكاثروا عليهم ووصلوا إلى الدائرة التي دارت على الناصر من العبيد والحشم وجدوها كالبناء المرصوص[٥٦٧] فلم فيستطيعوا دخولها فردوا اكفال الخيل المدرعة إلى رماح العبيد وهي مصوبة إليهم فدخلوا فيها والناصر قاعد على درقته أمام خبائه وهو في مكانه لا يتزحزح حتى كاد النصارى يصلون إليه بعد أن دافع الحشم طويلاً وقتل جميعهم من حوله وقيل ما يزيد على عشرة آلاف عبد[٥٦٨] وذلك حتى نصحه أعرابي بادراك السلامة وترك ميدان المعركة بعد أن نفذ حكم الله وتم مراده في جيش المسلمين.[٥٦٩]

****

وإذا كان لنا من كلمة أخيرة في جهاد أجناد الحشم فإننا نقول أنه من الملاحظ في مشاركات الحشم في المعارك الجهادية حرص الحكام على أجناد الحشم حرصاً شديداً بل كانوا يضنون بهم ويؤخرونهم في الحرب والنزال وذلك لأنهم اعتبروهم درعهم الواقي وحصنهم الحصين الذي يتحصنون به عند حدوث مكروه، ولذا وجدنا من تحدث مع الحكام وقادة الجيش ونصحهم بتقديم الحشم كما

المرجع السابق ص ٢٩١ وما بعدها، لويس إشباخ:تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ج ٢،ترجمة محمد عبدالله عنان،القاهرة ١٩٩٦م ص١٠٥ وما بعدها .

(٣) ابن أبي زرع :الأنيس ص٣١٥.

(٥٦٧) ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٣١٤.

(٥٦٨) المصدر السابق، ص٣١٥.

(٥٦٩) نفسه.

حدث مع الأمير المنذر وأبيه محمد بن عبد الرحمن. ولما استجاب للناس في طلبهم نشطوا وانتصروا على الأعداء، وإذا تأزمت الأمور وصعبت الخطوب على الحكام نجدهم يلجأون إلى حل سريع وسهل هو اللجوء إلى هؤلاء الأجناد من الحشم لفك الأزمة وتذليل المواقف الصعبة فهكذا فعل الناصر لدين الله الأموي ،فلما انشغل بقتال أهل طليطلة وأتته الأخبار باعتداء النصارى على الثغرالأعلى أخرج خاصة حشمه ومن بقى منهم في قرطبة مع القائد المكلف بالخروج إلى الثغر. ولما هزم في الخندق وتأزمت عنده القيادة لما غضب العرب لقيادة نجده الحيرى أحد مواليه وأحشامه، ولما رصد وعاين بنفسه ما حدث يوم الخندق وما سببه المطوعة من إرتباك لكثرتهم وتعدد حاجاتهم دون عناء، فكل هذا دفع الناصر لما عزم للخروج في الجهاد يعتمد فقط على غلمانه وأحشامه لما لهم من نظام وعدة وعتاد ووفرة عدد وبأس واستظهار بالهيبة والشدة. ولما أراد أن يسد ثغور المسلمين لم يكن ذلك إلا بهم وعن طريقهم لإخلاصهم الشديد ووفائهم لمواليهم من بنى أمية. كما يلاحظ كذلك أن هؤلاء الحشم من الفرق التي يعول عليها كثيراً في خطط الحرب وتنظيمها فلهم كما رأينا مواقف تشهد بأن صدارتهم للجيش تغير ميزان المعارك إذا وضعوا في صدارة الجيش يكفون فيها تماماً، كما كانوا حماية وملاذاً عند اشتداد الأزمات وكثرة مصاعب الجيش المجاهد ولذا كان يطلب منهم الكمون للأعداء والخروج عند الحاجة ولهذا وذاك كانت المعارك تحسم بهم لصالح المسلمين وعلى أيديهم نجا خلفاء وحكام بعد الهزيمة وضحى كثير منهم بنفسه وذهبوا فداء الولاء والإخلاص للحكام ويتضح كل ذلك من خلال المعارك التي خاضوها في العصرين المرابطى والموحدى، ولكل هذا حق للحكام في الأندلس أن يعنوا بالحشم ويكونوا منهم فرقاً خاصة ينفقون عليها بسخاء من أجل أعدادهم وتهيأتهم لمثل تلك المواقف.

الخاتمة

استعرضت في الصفحات السابقة جزءاً من حياة فئة اجتماعية أندلسية، بينت فيها من هم الحشم وكيف هيأهم الحكام للعب دور حربي وعسكري في فترة طويلة نسبياً فرضتها علىّ طبيعة البحث والدراسة من أجل اكتمال الصورة دون نقص أو تشوية في دور أولئك الحشم الممتد، بذلت في رسمها قصارى جهدى من أجل بيان حقيقة هذه الفئة وإبراز دورها العسكري والحربي بطريقة موضوعية لإحقاق الحق وإقرار واقع مجتمع إسلامي استقبل كل الأجناس واستوعب كل العناصر السكانية وأتاح لها الفرص لتلعب دورها المؤهلة له في الحياة، ويمكننا صياغة ما توصلنا إليه من نتائج في هذه النقاط التالية:

١-من خلال المعنى اللغوي لكلمة الحشم أمكننا التعرف على أن الكلمة واسعة المعنى وخلصنا من معانيها أن الحشم من ناحية المكانة الاجتماعية كان فيهم الأحرار والعبيد ومن حيث الإقامة والسكنى كان منهم القاطنون مع الحكام وآخرون لاذوا به وسكنوا قريباً منه، ومن حيث العمل والوظيفة كان الحشم حشمان الأول، القاطنون مع الحكام المخصصون بخدمهم والقيام على شئونهم وأحوالهم الخاصة داخل القصر هم وأهل بيتهم من مأكل ومشرب وملبس..إلخ وهؤلاء في الغالب كانوا من النساء وخصيان الرجال والمجموعة الثانية، المقيمون خارج القصور من المماليك والعبيد من الفحول وكذلك من أحرار الناس الذين لاذوا بخدمة الحكام، وهؤلاء هم أجناد الحشم الذين نعنى بدراستهم.

٢- من خلال دراسة الأصول العرقية لأجناد الحشم وجدنا:-

أ- اهتمام حكام الأندلس بتكوين عصبيات خالصة الولاء لها من أجل الحفاظ على دولهم وتوريثها لأبنائهم ومن هنا كان إهتمامهم بشراء العبيد والمماليك وإصطناع

الأحرار لتكوين قوة عسكرية لتكون الأيدى الباطشة والسيوف المنتقمة من كل من تسول له نفسه الخروج عليهم من الأقارب والأباعد، هذا فضلاً عن استخدامهم في مجاهدة الأعداء.

ب- إن أغلب الأصول العرقية التي انتمى إليها الحشم هي نفسها الموجودة بالأندلس خصوصاً من استرق منها مثل البربر والسودان والصقالبة بالإضافة إلى المولدين وكذلك من أحرار هذه العناصر والمصطنعين كالبربر والمولدين وغيرهم من عناصر حرة لم تفصح لنا المصادرعن أصولهم العرقية مثل أولئك الذين استقدمهم الحكم المستنصرمن طليطلة وصاروا في الحشم الخلافي ودفع بهم للقتال في بلاد المغرب.

٣- خلصنا من دراسة أعداد الحشم الحربي أنها كانت كثيرة جداً لم يحصها مصدر ولم يحط بها أحد من المؤرخين المعاصرين للأحداث ولا من أتى بعدهم وذلك لكثرتهم من ناحية وتفرقهم في جيش الأندلس المنتشر في كل أنحائها وأن ما وصلنا من أعداد لأجناد الحشم واستعرضناها خلال البحث ما هي إلا مؤشرات دلتنا فقط على كثرتهم كما دلتنا الألفاظ التي استخدمها المؤرخون على ذلك مثل جمهور الحشم وكثيف الحشم وحشد الحشم..إلخ.

٤- برصد المجهودات التي بذلها الحكام من أجل إعداد الحشم وتهيأتهم عسكرياً خرجنا بـ:

أ- بذل الحكام الغالي والنفيس في سبيل شراء المماليك والعبيد واصطناع الأحرار من أجل تكوين أحشام خاصة بهم.

ب- إن اهتمام الحكام بشأن الإنفاق غير المحدود على أولئك الأحشام في الإقامة والمأكل والمشرب وشراء السلاح والخيل لهم وتسخير خطط قائمة بذاتها عدت

من أشرف خطط الدولة مثل خطة الخيل وخطة خزانة السلاح وغيرهما، يصب في الاهتمام بالأحشام لإعدادهم الجيد والاستعداد بهم فضلاً عن الاستزادة في الإخلاص والولاء لهم ولبنيهم.

ج- بيان الفرق الواضح بين أجناد الحشم والجند المرتزقة الذين ظهروا في الجيوش المغربية والأندلسية بداية من العصر المرابطي في طريقة الإعداد وما ترتب عليها من ولاء أجناد الحشم لأسيادهم والإخلاص لهم وولاء الجند المرتزقة للراتب ومن يعطيه فقط.

د- خضوع أجناد الحشم لنظام عسكري دقيق سدته ولحمته الالتزام والانضباط في كل شيء مظهراً وجوهراً، وإلا التعرض للعقوبات الشديدة إذا خولف ذلك.

هـ- بيان كيفية تعبئة الحشم للحرب والقتال، ثم ما مثله أولئك الأجناد في الجيش الأندلسي من أساس متين للجيش لا يمكن الاستغناء عنه، حيث تمثلوا في كتله الكبرى كالفرق والكتائب والصغرى كالعرافات المختلفة وذلك فرساناً ورجالة على حد سواء.

٥- من دراسة الحشم والوحدات الخاصة في الجيش الأندلسي خرجنا أن هذه الوحدات الخاصة كلها كانت من أولئك الحشم سواء كانت تلك الوحدات خاصة بحراسة الخلفاء اومشاركة في الحروب أو حتى في الاحتفالات الرسمية لاستقبال القادة المنتصرين أو السفراء والملوك.

٦- من خلال دراسة خطة صاحب الحشم كخطة مستقلة في الدولة علمنا أن:

أ- لصاحبها الإشراف التام على الأجناد من الحشم إعداداً وتدريباً وتهيأة، وهذا المسئول يمكن أن يكون من الحشم أو من غيرهم، وأن مهمته لم تقتصر على الاهتمام بالحشم فقط، بل كان يقود الحشم أنفسهم في الحروب أو كان يقود

الجيش كله، هذا فضلاً عن مهام أخرى مثل مسئوليته عن ترتيب الحفلات العامة وتنظيم مراسيمها ثم حضورها مع الخلفاء، أو مهام مدينة أخرى.

ب- ولأهمية الحشم وكثرة أعدادهم أسندت هذه الخطة لأكثر من شخص في وقت واحد. وربما أضيف إلى صاحب الحشم خططاً أخرى تخدم أجناد الحشم المقاتلة مثل خطة الخيل وخطة الشرطة العليا وذلك لتقارب هذه الخطط في الوظيفة الحربية والأمنية.

٧- وخلصنا من دراسة الدور العسكري للحشم إلى إن اهتمام الحكام بالحشم تكويناً وتدريباً وإنفاقاً قد أثمر مشاركة الأحشام بفاعلية في حفظ أمن الحكام ودولهم وذلك عن طريق:

أ- الحراسات: حيث إضطلع الحشم بالعديد من هذه الحراسات في الأندلس فيما يخص الحاكم في شخصه وقصوره وما يحفظ أمن مستراحاته ومتنزهاته أو أمن عاصمته بصفة عامة كحراسة البوابات الرئيسية، كما كانوا حراساً لسجونها.

ب- لعب الحشم دوراً محورياً في حفظ أمن الدولة واستتبابه وذلك بمشاركاتهم الفاعلة كأجناد أساسيين في الجيش في الأحداث والوقائع والحروب بين الدولة ومخالفيها، فما من فتنة إلاشاركوا في إخمادها ولا ثورة إلا وشاركوا في القضاء عليها ولا عاص إلا وأسهموا في تأديبه.

ج- لم يقف دور الحشم عند هذا الحد بل شاركوا في حفظ المدن والأقاليم الثائرة بعد إعادتها للطاعة وذلك عن طريق فرقهم التي رابطت في هذه المدن والأقاليم.

د- في عصر ملوك الطوائف عصر الإنشقاق والإفتراق توزعت قوى الحشم بين القوى المتنازعة وراح أغلبهم ضحايا لمثل هذه الخلافات مما أدى إلى أن إنماع

دورهم الحقيقي، حتى القلة الضعيفة المتبقية منهم في هذا العصر تخلقت بأخلاق العصر ولم يعد ولاؤها خالصاً لساداتها ورصدنا لهم بعض المخالفات في ذلك.

هـ- دور الحشم في المنازعات الداخلية في عصر المرابطين والموحدين لم يكن ظاهراً وقد أرجعنا ذلك إلى أن الدولتين كانتا مجاهدتين في الأندلس، فوجهتا طاقه حشمهما إلى الجهاد في سبيل الله.

٨- ومن رصد دور الحشم في الجهاد ضد نصارى الشمال خلصنا إلى:

أ- أن أجناد الحشم اشتركوا في كل الغزوات والصوائف ضد نصارى الشمال حتى تلك التي سكتت فيها بعض المصادر عن ذكر دور الحشم عرفناها من خلال مصادر أخرى أو استنتاجاً لأنهم كانوا أساساً في الجيش الأندلسي، وإن كنا اكتفينا في رصد دورهم في هذا المجال على المذكور صراحة في المصادر وبالذات في الوقائع والغزوات الكبرى.

ب- عول عليهم الحكام كثيراً في الجهاد ضد النصارى، حتى أن الخليفة الناصر لدين الله الأموى فكر في الخروج بهم فقط للجهاد دون الأجناد الآخرين الذين رأي أعفائهم مؤونة الغزو بعد أن رأي كثرة أعدادهم وحسن تجهيزهم وشدة بأسهم.

ج- بروز دور أجناد الحشم في المواقع الهامة الكبرى في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين جهاداً ضد النصارى مثل الزلاقة والأرك والعقاب وغيرها بما يؤكد محورية دورهم في الجهاد ضد نصارى الشمال.

د- كان أجناد الحشم من الفرق التي يعول عليها كثيراً في تخطيط الحرب وتنظيمها فإذا وضعوا في صدارة الجيش يكفون في مواقفهم كما كانوا ملاذاً وحماية للحكام والقادة عند اشتداد الأزمات وقسوة الظروف، فعلى أيديهم كانت

الانتصارات وعلى أيديهم نجا خلفاء وحكام من موت محقق عند الهزيمة، وضحى كثير منهم بأنفسهم وذهبوا فداء الإخلاص والولاء للحكام، ولهذا حق لبعض الحكام أن يؤخروهم في الحرب بل ويضنوا بهم ولا يلجأون إليهم إلا عند الضرورة القصوى، بما يؤكد دور الحشم في معارك الجهاد كورقة رابحة، يستخدمها القادة في حسم المعارك.

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

- ابن الأبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى المعروف بابن الأبار ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م): كتاب الحلة السيراء، جزءان تحقيق د/ حسين مؤنس، ذخائر العرب ٥٨، دار المعارف القاهرة، ط٢

-...: التكملة لكتاب الصلة، الجزء الأول،تحقيق د/ عبد السلام الهراس،دار الفكر بيروت١٩٩٥م.

- ابن أبى زرع (على بن أبى زرع الفاسى المتوفى خلال ق٨هـ/ ١٤م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٩٩م، ط٢.

- ابن الأثير(أبو الحسن على بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، الجزء الخامس، تحقيق محمد يوسف الدقاق دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م، ط٢.

- ابن الأحمر(أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر ت ٨٠٧هـ/ ٨١٠م): النفحة النسرينية واللمحة المرينية. حققه وقدم له الدكتور عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق، ١٩٩٢م.

- الإدريسي(محمد بن محمد بن عبد الله المعروف بالشريف الإدريسى من أهل القرن السادس): صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، طبعة ليدن، سنة ١٨٦٨م.

- ابن بسام (أبو الحسن على بن بسام الشنترينى ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أربعة أقسام في ثمان مجلدات، تحقيق الدكتور إحسان عباس دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٩م.

- البيهقى(أبو بكر أحمد بن الحسين بن على بن موسى البيهقى ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) :سنن البيهقى الكبري، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الباز، ١٩٩٤م.

- الحاكم(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم المعروف بالحاكم النيسابورى) :المستدرك على الصحيحين تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٠م.

-الحميدي(أبوعبدالله محمد بن أبي نصرفتوح بن عبدالله الأزدي ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م)جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تراثنا، المكتبة الأندلسية رقم ٣، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، سنة ١٩٦٦م.

- الحميري(أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي عاش في القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادي): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د/ إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠، ط٢.

- ابن حوقل(أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): كتاب صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، سنة ١٩٩٨م.

- ابن حيان(أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبى ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م): المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق الدكتور/ محمود على مكى طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٩٧٣م.

-.....: السفرالثاني من كتاب المقتبس، تحقيق محمود على مكى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م الطبعة الأولى.

-... : المقتبس في تأريخ الأندلس، عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (٢٧٥-٣٠٠هـ)، تحقيق الدكتور إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، سنة ١٩٩٠م. الطبعة الأولى.

-٠٠٠: المقتبس (قطعة خاصة تشتمل على عهد الناصر لدين الله) تحقيق بدرو شالميتا وفردريكو كورينطى ومحمود صبح، المعهد الأسباني العربي للثقافة، كلية الآداب، مدريد، سنة ١٩٧٩م.

-٠٠٠: المقتبس في أخباربلد الأندلس تحقيق عبد الرحمن على الحجى، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، طبعة، سنة ١٩٨٣م.

-ابن خاقان(أبو النصر الفتح بن عبد الله بن خاقان الإشبيلى، ت ٥٣٥هـ/ ١١٣٤م): قلائد العقيان في محاسن الأعيان، مصر، بدون.

- الخشنى(أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني ت ٣٦١هـ/ ٩٧١م): أخبار الفقهاء والمحدثين دراسة وتحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا Maria Luisa Avila y Luis Molina المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، سنة ١٩٩٢م.

- ابن الخطيب(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن على بن أحمد السلماني ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م): كتاب إعمال الإعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م.

-٠٠٠: الإحاطة في أخبار غرناطة، أربعة أجزاء تحقيق محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، مكتبة الخانجى، القاهرة، سنوات مختلفة.

- ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م): مقدمة ابن خلدون، ح٢، تحقيق دكتور على عبد الواحد وافي، سلسلة التراث، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٦م.

-٠٠٠: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر المسمى تاريخ ابن خلدون، م٤، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٢م، ط١.

- ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر المتوفى سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٩٠-١٩٩٤م.

- الدرجيني(الشيخ أبى العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ت ٦٧٠هـ): كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، الجزء الثاني حققه وقام بطبعه إبراهيم طلاي، دار الفكر العربي، بيروت، بدون.

- الرشاطى(أبو محمد الرشاطى ت ٥٥٤هـ/ ١١٤٧م وابن الخراط الإشبيلي ت ٥٨١هـ/ ١١٨٦م): الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار إقتباس الأنوار تقديم وتحقيق إيميلو مولينا، وجاثينتو بوشك بيلا Emilio Molina y Jacinto Bosch Vila المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع المعهد العربي، مدريد، سنة ١٩٩٠م.

- الرقيق القيرواني(أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم القيرواني ت ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م): تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق د/ محمد زينهم عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ط١.

- ابن سعيد(أبو الحسن على بن موسى بن عبد الملك ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م): المغرب في حلى المغرب جزءان، تحقيق د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٦٤م، سلسلة الذخائر ١٠.

- ابن صاحب الصلاة(أبو مروان عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجى، ت ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م) تاريخ المن بالإمامة (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق د/ عبد الهادي التازى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة ١٩٨٧م، ط٣.

- ابن الصغير(المالكي، عاش في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي): أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق د/ حسن على حسن، القاهرة، سنة ١٩٨٤م.

- الضبي(أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميره الضبي ت ٥٩٩هـ/ ١٠٢٣م): بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، المكتبة الأندلسية ٦، دار الكاتب العربي، القاهرة، سنة ١٩٦٧.

- عبد الله(الأمير عبد الله بن بلكين الزيرى آخر ملوك بنى زيرى في غرناطة ٤٦٩-٤٨٣): المسماه بكتاب التبيان، نشر وتحقيق أ. ليفى بروفنسال دار المعارف، مصر، بدون، سلسلة ذخائر العرب ١٨.

- ابن عبدون(محمد بن أحمد بن عبدون التجيبى): رسالته في القضاء والحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، سنة ١٩٥٥م.

- ابن عذارى(أبو عبد الله محمد بن عذارى المراكشي ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الثاني، تحقيق ومراجعة ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٣م.

: الجزء الثالث تأريخ إفريقية والمغرب من الفتح إلى القرن الرابع الهجري، تحقيق ومراجعة ج.س.كولان، إ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٣م.

: الجزء الرابع، تحقيق الدكتور/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٣م.

: قسم الموحدين، تحقيق أ. محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب١٩٨٥م.

- ابن عسكر(أبى عبد الله بن عسكر، أبى بكر بن خميس): أعلام مالقة، تقديم وتخريج وتعليق الدكتور عبد الله المرابط ، دار الغرب الإسلامي، دار الأمان للنشر والتوزيع، بيروت، الرباط، سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. ط١.

- عياض(القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، وولده محمد ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م): مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، ط١، سنة ١٩٩٠م.

- ابن غالب(الحافظ محمد بن أيوب بن غالب الأندلسي الغرناطي، من أهل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي): نص جديد من كتاب "فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع، مطبعة مصر، سنة ١٩٥٦م، فصله من مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، الجزء الثاني، سنة ١٩٥٥م.

- الغساني(محمد الغساني الأندلسي): رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تحقيق نورى الجراح، سنة ١٦٩٠-١٦٩١، دار السويدي للنشر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، أبو ظبي، بيروت، سنة ٢٠٠٢، ط١.

- الفيروز آبادى: (محمد بن يعقوب الفيروز آبادي): القاموس المحيط، بدون.

- ابن القطان(أبا الحسن محمد بن حسن بن على المعروف بابن القطان المراكشي عاش في عصر المرتضى الموحد ٦٤٦-٦٦٥هـ/ ١٢٤٨-١٢٦٦م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود على مكي، دار الغرب الإسلامي، سنة ١٩٩٠م، ط١.

- ابن القوطية(أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، القاهرة، سنة ١٩٨٢م، ط١.

- مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تحقيق إبراهيم الإبياري، المكتبة الأندلسية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة ١٩٨١م، الطبعة الأولى.

- ...: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، اعتنى بنشره س.علوش، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، رقم ٦، رباط الفتح، سنة ١٩٣٦م.

-٠٠٠: ذكر بلاد الأندلس جزءان، تحقيق لويس مولينا Luis Molina، المجلس الأعلى الأبحاث العلمية، بمدريد، سنة ١٩٨٣م.

-٠٠٠: الخبرعن مدينة قرطبة ومحاسنها "نشره الدكتور حسين مؤنس تحت عنوان وصف جديد لقرطبة الإسلامية مجلة معهد الدراسات الإسلامية ١٣، مدريد، سنة ١٩٦٥-١٩٦٦م.

-٠٠٠: فتح الأندلس، دراسة وتحقيق لويس مولينا Luis Molina المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي، مدريد، سنة ١٩٩٤م.

- المراكشي(محيي الدين أبو محمد عبد الواحد بن على المراكشي ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم وتحقيق وتعليق دكتور/ محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجانى للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- المراكشي(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسى ت ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، سنة ١٩٨٤م.

- المقري(الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أجزاء، تحقيق إحسان عباس، بيروت، سنة ١٩٩٧م.

-٠٠٠: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، الجزء الثاني، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٤٠م.

- ابن منظور(محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري المشهور بابن منظور ت ٧١١هـ/ ١٣١١م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، بدون.

- النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري، ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الثالث والعشرون، تحقيق محمد كمال زكى ومراجعة محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٠م.

- ياقوت(أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٦م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، بدون.

ثانياً- المراجع:

- إبراهيم القادري بوتشيش (دكتور): مسألة بناء الكنائس بالمغرب الأقصى خلال عصر المرابطين من منتصف القرن ١١ إلى منتصف القرن ١٢، ضمن ندوة: الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، تنسيق محمد حمام، الرباط، سنة ١٩٩٥م، ط١.

-...:مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، سنة ١٩٩٨م، ط١.

- أحمد بدر(دكتور): تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري (عصر الخلافة)، دمشق، سنة ١٩٧٤.

- أحمد مختار العبادي(دكتور): الصقالبة في أسبانيا، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، بمدريد، سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م.

- ارشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، (٥٠٠-١١٠٠م) ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سنة ١٩٥٠م.

- أحمد بن خالد الناصري السلاوى: الاستقصا بأخبار المغرب الأقصى، الجزء الثاني، تحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري، الدار البيضاء، سنة ١٩٩٧م، ط١.

- السيد عبد العزيز سالم (دكتور): قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، جزءان، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، سنة ١٩٨٥م.

- بروفنسال (ليفي): تاريخ أسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١م) ترجمة على عبد الرءوف البمبى، على المتوفى، السيد عبد الظاهر عبد الله،

مراجعة صلاح فضل، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، رقم ٢٤٣، القاهرة، سنة ٢٠٠٠م.

- ...: تاريخ أسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣٢م) النظم والمؤسسات والحياة الاجتماعية والفكرية/ م٢، ج١، ترجمة من الإسبانية على عبد الرءوف البمبى وآخرون المشروع القومي للترجمة، رقم ٣٢١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، سنة ٢٠٠٢م.

- حسين مؤنس (دكتور): بلاى وميلاد اشتريش وقيام حركة المقاومة في شمال أسبانيا، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، م٢، ج١، سنة ١٩٤٩م.

- ... : فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى قيام الإمارة الأموية ٧١١-٧٥٦هـ، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٥٩م، ط١.

- رينهرت دوزى: المسلمون في الأندلس، الجزء الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٥م.

- رضوان البارودي رضوان(دكتور): عناصر المرتزقة في الجيوش المغربية منذ القرن السادس حتى القرن الثامن الهجري، ندوة بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد ـ التاسع الهجري حصاد ه، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، نوفمبر سنة ١٩٩٧م.

- سحر عبد المجيد مناور المجالى (دكتور): تطور الجيش العربي في الأندلس (١٣٨-٤٢٢هـ/ ٧٥٦-١٠٣١م)، وزارة الثقافة، الأردن، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج١.

- صلاح أحمد عيد (دكتور): موالى بنى أمية في الأندلس وأثرهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الفترة من بداية عصر الإمارة حتى نهاية عهد الحاكم المستنصر (١٣٨-٣٦٦هـ/ ٧٥٦-٩٧٦م) ماجستير، آداب المنيا، سنة ١٩٩١م غير منشوره.

- عبد الإلاه بتمليح (دكتور): الاسترقاق في الغرب الإسلامي بين الحرب والتجارة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجده، سلسلة بحوث ودراسات (٢٠)، وجده سنة ٢٠٠٣م.

- عز الدين موسى (دكتور): الموحدون في المغرب الاسلامي، تنظيماتهم ونظمهم دار الغرب الاسلامي، بيروت، سنة ١٩٩١م.

- لويس إشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، الجزء الثاني، ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة، سنة ١٩٩٦م.

- لويس سيكودى لوثينا: الحموديين سادة مالقة والجزيرة، ترجمة عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق، سنة ١٩٩٢م، ط١.

- مارمول كربخال: افريقيا، الجزء الثاني، ترجمة محمد حجى وآخرون، الرباط، سنة ١٩٨٨-١٩٨٩م.

- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول، القسم الأول: من الفتح إلى بداية عهد الناصر، القاهرة، سنة ١٩٨٨م، ط٣، القسم الثاني، الخلافة الأموية والدولة العامرية، القاهرة، سنة ١٩٨٨م، ط٣، العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى، مكتبة الخانجى، ط٣، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ـ العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، مكتبة الخانجى، ط٣، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ـ القسم الثاني عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، مكتبة الخانجى، ط٢، سنة ١٤١١، ١٩٩٠م. الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، ج٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠١م.

- محمد المنونى: ثقافة الصقالبة، مجلة المناهل، عدد ٣١، سنة ١١، سنة ١٩٨٤م.

- محمود عرفة محمود (دكتور): دراسات وبحوث في الحضارة الاسلامية، الجزء الأول، القاهرة، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

- مصطفى نشاط: الإرتزاق المسيحي بالدولة المرينية، ضمن ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي، تنسيق محمد حمام، الرباط، سنة ١٩٩٥م.

-منى حسن محمود(دكتور):قاعدة نربونة ودورها في الجهاد ضد الفرنجة والتوسع في أوربا(١٠٢-١٤٩هـ/٧٢٠-٧٦٦م)عين للدراسات والبحوث الإجتماعية القاهرة٢٠٠١ م.

- هنرى بيريس: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقه ترجمة د/ الطاهر أحمد مكى، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

-Almonso (Manuel Acien): Madinat Alzahra, Elurbanismo Musulman en Cuadernos de Madinat Alzahra. Vol. I Cordoba, 1987.

-Balbas: Al Madina Al Zahira la Cuidad de Al Manzor, en Al Andalus vol. XXI, Ano, 1956.

-Castejon y otro: Cordoba Califal, en Boletin de la Real Academia de Cordoba No 25, Cordoba, 1929.

-Hernandez (Miguel Cruz): El Islam de Al-Andalus Historia y estractura de su realidad Social, Madrid, 1992.

-Rachel Arie: Espana Musulmana, (Siglos VIII-XV) en Historia de Espana, T.3 dirigida por M. Tunon de Lara, Editorial Labor, S.A. Madrid, 1969.

-Jimenez (Manuel ocana): Al Madina Al Zahira, en Al Mulk No 4 Ano, 1969.

-Vallve (Bermijo, Juaquijn): la divison Terretorial de la Espana Musulmana, C.S.I. C.Y Departamento de Entudios Arabes Madrid, 1986.